909.238

13/2/16

جامعة 08 ماي 1945 قالمة
قسم التاريخ والآثار
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة 08 مـاي 1945

قالمـــــة

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم: التاريخ و الآثار

التخصص: التاريخ العام

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام بعنوان :

الحجابة في الدولة الإسلامية

(41هـ / 422هـ)

من اعداد الطالبة :

آمنة درقاني

تحت إشراف الأستاذ :

رابح أولاد ضياف

لجنة المناقشة:

الأستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة
عبد الكريم قرين	أستاذ مساعد أ	رئيسا	جامعة 08 ماي 1954 قالمة
رابح أولاد ضياف	أستاذ مساعد أ	مشرفا و مقررا	جامعة 08 ماي 1945 قالمة
فؤاد طوهارة	أستاذ مساعد ب	عضوا مناقشا	جامعة 08 ماي 1954 قالمة

السنة الجامعية : 1433هـ - 1434هـ / 2012م - 2013م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــداء

أهدي هذا العمل المتواضع...

إلى والدي العزيزين أطال الله عمرهما، وإلى جميع أفراد عائلتي الكريمة

إلى كل الأصدقاء، خاصة إلى رفيقتي خلال المشوار ي الدراسي طوال خمسة سنوات إيمان

إلى كل من يقرأ هذا البحث.

درقالي آمنة

شكر و عرفان

أشكر الله عز و جل على التوفيق والسداد في هذا العمل

كما اتوجه بجزيل الشكر و العرفان إلى المشرف الأستاذ رابح أولاد ضياف الذي لم يبخل علينا بالتوجيهات طوال مدة البحث.

وأتوجه بالشكر إلى جميع أستاذي على الدعم و المساعدة.

درقالي آمنة

قائمة المختصرات

المختصر	دلالته
ت	توفي
ج	جزء
د/ت	دون تاريخ نشر
د/ط	دون طبعة
ص	صفحة
ط	طبعة
ق	قسم
م	مجلد

مقدمة

إن من بين المراتب والوظائف المهمة في السياسة السلطانية نجد وظيفة الحاجب والتي من شأنها حجب العامة عن الخليفة، فلقد عرفت الحجابة في مرحلة مبكرة من تاريخ صدر الإسلام وتطورت بتطور مراحل الدولة الإسلامية، حتى أصبح اسم الحاجب في الدولة دليل على رقيها و حضارتها، وباعتبار أن الحاجب كان يشغل منصبا رفيعا في الدولة، فقد أوكلت إليه العديد من المهام المتعلقة بالخليفة و قصره إلى جانب حفظ الباب فتعددت وظائفه في الدولة إلى أن أصبح يتمتع بنفوذ قوي مكنه من الوصول بطموحه إلى تقلد أعلى المناصب، كمنصب الوزارة وما لبث حتى تمكن من الاستبداد بأمور الدولة و الوصول إلى الحكم كما فعل الحاجب المنصور .

وهذه الدراسة ستأتي بهدف:

1. إبراز الإرهاصات والجذور الأولى لهذه الخطة وبداية ظهورها في الدولة الإسلامية.
2. توضيح خصائص هذه الوظيفة لأنها اختلفت من عصر إلى آخر، فالحجابة في العهد الأموي اختلفت خصائصها عنها في العهد العباسي وكذلك في المغرب والأندلس.
3. محاولة البحث عن معلومات أكثر حول الحجابة في المغرب، رغم أن بعض المصادر كانت قد نفت وجودها في العديد من الدول التي قامت بالمغرب الإسلامي كالدولة المُرابطية، ودولة بني مرين.

ومن هنا جاء اهتمامنا بهذه الدراسة لمتابعة خطة الحجابة في الدولة الاسلامية بشكل معمق ورصدها بدراسة علمية متخصصة، لمحاولة الكشف عن بعض الجوانب الخطيرة التي آلت اليها الحجابة خاصة بعد أن قوى نفوذ الحاجب خاصة في العهد العباسي والأموي بالأندلس.

والإشكالية المطروحة تتمحور حول: كيف نشأة هذه الخطة في الدولة الإسلامية ؟ وماهي التطورات التي طرأت على هذا المنصب ؟ وماهي صفات و مهام الحاجب ؟ و إلى أي مدى وصل نفوذه ؟

وقد اعترضتني العديد من المصاعب في هذه الدراسة منها:

1. قلة المادة العلمية التاريخية المتخصصة المكتوبة في الموضوع، خاصة في الفصل الأول والمبحث المتعلق بحكم الحجابة، و كذلك في الفصل الثالث والمبحث المتعلق بالحجابة في المغرب.
2. ضيق الوقت المخصص لإنجاز المذكرة.
3. كما أن المادة العلمية الخاصة بموضوعي موزعة في المصادر أكثر منها في المراجع، وهذا ما جعل عملية جمعها و تصنيفها صعبة بالإضافة إلى صعوبة على الحصول على بعض المصادر و التي كانت تحتوي معلومات في غاية الأهمية.

و قد اتبعت في دراستي هذه المنهج التاريخي الوصفي لسرد الأحداث، بالإضافة إلى المنهج التاريخي المقارن للوقوف على الاختلافات و التطورات الحاصلة في وظيفة الحجابة خاصة بين المشرق و المغرب ، كما اعتمدت جملة من المصادر و المراجع أهمها كتاب **المقدمة** و هي من أشهر ما كتب ابن خلدون، وقد خصص صاحبها فصل للحجابة بعنوان الحجاب كيف يقع في الدول، وقد اعتمدت في البحث بصورة أساسية على ما كتبه عن الحجابة في الدولة الإسلامية ابتداء من فترة الخلافة الراشدة حتي عهد ملوك الطوائف بالأندلس، بالإضافة إلى كتاب الأربلي **خلاصة الذهب المسبوك** الذي احتوى معلومات مهمة عن حُجاب الخلفاء الأمويين وكذلك كتاب السياسة للمرادي الذي حدد فيه الشروط الواجب توفرها في الحُجاب

وكذلك كتاب سالم عبد الله خلف **نظم حكم الأمويين في ورسومهم في الأندلس**، الذي خصص فصلا كاملا للحجابة في الأندلس، و قد أفادني في تتبع مراحل الحجابة في الأندلس ورصد ما آل إيه أمر الحُجّاب

وقد تناولنا الموضوع وفق خطة بحث مكونة من مقدمة ثلاثة فصول و خاتمة جاء الفصل الأول بعنوان معنى الحجابة نشأتها وحكمها، تناولت فيه هذه الوظيفة من خلال التعريف بالحجابة لغة و اصطلاحا كما تطرقت إلى نشأة الحجابة من خلال توضيح الإرهاصات الأولى لهذه الخطة زمن النبي صلى الله عليه و سلم و الخلفاء الراشدين، بالإضافة إلى حكم الحجابة في الإسلام مستعرضة رأي من منعوا و نهوا عن اتخاذ الحاجب، و رأي من اجاز ذلك بشروط و تطرقت لذكرها.

الفصل الثاني بعنوان تطور الحجابة زمن الأمويين و العباسيين، تابعت فيه تطور الحجابة في كل من الدولتين الأموية و العباسية ، بتوضيح الأسباب التي دفعت بالأمويين إلى اتخاذ الحُجاب، وابراز مهام الحاجب و الصفات الواجب توفرها فيه، وما وصل إليه من نفوذ وقوة زمن العباسيين حيث تخطى الحاجب حدود وظيفته، خاصة عندما ضعفت الخلافة و تدخل الأتراك و البويهيين فتجاوزت مهام الحاجب حتى سلطة الخليفة و نفوذه .

أما الفصل الثالث و الأخير بعنوان الحجابة في المغرب و الأندلس، تطرقت فيه للحجابة في المغرب من خلال إبراز ما كانت عليه في الدولة الحفصية، وكذلك بالنسبة لدولة بني مرين وما اصبحت عليه هذه الخطة في دولة بني عبد الواد الزيانية بذكر أشهر الحُجاب وكيف ألغيت في عهد أبي حمو موسى الثاني واستبدلت بخطة المزوار ويبدو أن هذه المهمة كانت امتداد و ذوبان لمهمة الحاجب .

و بالنسبة للأندلس فقد ذكرت ما كانت عليه الحجابة زمن الخلافة الأموية بالأندلس وما كان للحُجاب من نفوذ كالحاجب المنصور الذي تمكن من الاستبداد بالخليفة هشام

المؤيد و الوصول إلى الحكم، وظل محتفظا بلقب الحاجب وأورث بن أبي عامر الحجابة لولديه من

بعده حتي سقطت الدولة العامرية ، وكذلك الأمر بالنسبة لملوك الطوائف إذ كانوا يعدون لقب الحجابة شرف لهم .

و أنهيت الدراسة بخاتمة جاءت في صورة خلاصات استنتاجية اشتملت علي أهم نتائج الدراسة التي امكن التوصل اليها

وفي الأخير أتوجه بالشكر الى كل من ساعدني في انجاز هذه الدراسة

والله من وراء القصد

المبحث الأول : معنى الحجـــــــابة :

المطلب الأول: الحجابة لغة :

حجب: الحجاب الستر، حجب الشيء، وحجبه، ستره وهو اسم ما احتجب به وكل ما حال بين شيئين[1].

حجب : الحاء والجيم والباء أصل واحد وهو المنع، يقال حجبه عن كذا أي منعه[2].

والحاجب :البواب صفة غالبة وجمعه حُجبة وحُجاب وخطته الحجابة وحجبه أي منعه من الدخول، والحجابة : ولاية الحاجب[3].

المطلب الثاني: الحجابة اصطلاحا:

عرفت الحجابة في مكة قبل الإسلام على أنها سدانة الكعبة وحراستها وحفظ مفاتيحها وهو شرف خص به بني قصي بن كلاب [4].

معناها إلى حفظ باب الخليفة أو الملك أو الوزير ومنع الداخلين عليه إلا بعد الاستئذان ويقال لمن يتولاها الحاجب[5]. وربما سمي الحاجب آذنا فالآذن يقوم بأعمال الحاجب[6].

ويقصد بالحاجب الشخص الواقف بباب الخليفة ليحجب الناس عنه ويمنع الدخول إليه فهو همزة وصل بين الخليفة والناس، يأذن لمن شاء بالدخول عليه أو يمنعه إذ كانت الأسباب غير مقنعة، تفاديا لازدحام الناس في حضرة الخليفة، فيتولى عملية تنظيم مقابلة المراجعين له وترتيبهم في الدخول عليه[7].

---

(1) ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين بن مكرم ، **لسان العرب**، المطبعة الكبرى، مصر، 1300هـ ، ط1، ص 289

(2) ابن فارس، أبي الحسن أحمد بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق وضبط : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر القاهرة، د/ط 1997، ج2، ص 143

(3) الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب ، **القاموس المحيط**، مطبعة الأميرية، القاهرة ،(د/ط) ، (د/ت)، ج1 ص 62

(4) ابن منظور، المصدر السابق، ص 289

(5) غازي جاسم مهدي الشمري، **دراسات في النظم الإسلامية**، مكتبة الرشاد، الجزائر، ط1، 2002م ، ص 109

(6) ظافر القاسمي، **نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي**، دار النفائس، بيروت، ط6، 1987م ،ج2، ص 415

(7) إبراهيم سلمان الكروي، **المرجع في الحضارة العربية الإسلامية**، مركز الاسكندرية للكتاب، مصر،(د/ط) ،2007م ص 65

فالحاجب إذن هو من يبلغ الأخبار عن الرعية إلى الإمام ويأخذ لهم الإذن منه، ويقول ابن خلدون : « أن مهمة الحاجب هي أن يحجب السلطان عن العامة ويغلق بابه دونهم ويفتحه لهم على قدره في مواقيته »[1].

(1) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، **مقدمة ابن خلدون**، دراسة و تحقيق و تعليق: علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر القاهرة، ط1، 2006م، ج1، ص640

المبحث الثاني: نشأتها :

على الرغم من تباين الأقوال في نشأة الحجابة فإننا نستطيع التعرف على بداياتها الأولى في الدولة الاسلامية، فعلى الرغم من تأكيدات بعض الدارسين أن الحجابة لم تعرف في العصر النبوي ولا في الخلافة الراشدة، إلا أنه يمكن القول أن الحجابة عرفت في الدولة الإسلامية في حياة النبي صلى الله عليه و سلم و كذلك زمن الخلافة الراشدة .

المطلب الأول: الحجابة زمن النبي صلى الله عليه وسلم:

لقد كان لرؤساء القبائل وزعماء العشائر قبل الإسلام عبيدا يقومون بحجبهم ويُلبون طلباتهم، وعندما جاء الإسلام لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم بحاجة إلى من يحجبه[1] لأن الله عز وجل خاطبه بقوله : « **والله يعصمك من الناس**» سورة المائدة الآية 67[2].

ومع ذلك فإن الصحابة رضوان الله عليهم تطوعوا للقيام بهذه المهمة بصورة عفوية تلقائية نظرا لمكانة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في نفوسهم، فقد قام بها أبو بكر الصديق عندما كثر إقبال الوفود في عام الوفود[3].

لهذا فقد عرفت الحجابة في مرحلة مبكرة من تاريخ صدر الإسلام، ويشير صاحب العقد الفريد ابن عبد ربه أن النبي صلى الله عليه و سلم قد كان له حاجبا فيقول : « وحاجبه صلى الله عليه و سلم أنس مولاه »[4].

كما اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم كذلك بعض الصحابة لهذه الوظيفة مثل أسامة بن زيد فعُـرف بحاجب الرسول صلى الله عليه وسلم[5].

وهذا لا يعني أنه صلى الله عليه وسلم كان له حاجب خاص لأنه كان يحتجب في بعض الأوقات فقط، فكان يعتكف في المسجد النبوي وفيه مسكنه ويستقبل فيه الناس و الوفود.

([1]) غازي جاسم، المرجع السابق، ص109

(2)القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية 67

(3) عبد الرحمن الضحيان، **النظم الإسلامية وحاجة البشرية إليها**، دار المآثر، المدينة المنورة،ط1، 2002م ، ص 150

(4)ابن عبد ربه، أحمد بن محمد ، **العقد الفريد**، تحقيق : محمد مفيد، دار الكتب العلمية، بيروت،(د/ط)،(د/ت) ،ج2 ص 174

(5) عبد الرحمن الضحيان، مرجع سابق، ص150

ولم يكن صلى الله عليه وسلم يحتجب عن الناس عندما يكون في المسجد، إلا في بعض الأوقات ويقول الشوكاني : «وقد كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يحتجب في بعض أوقاته»، وثبت من حديث أبي موسى الأشعري أنه كان بوابا للنبي صلى الله عليه وسلم لما جلس على قف البئر في القصة المشهورة، إذ جعل لنفسه بوابا في ذلك المكان وهو منفرد عن أهله خارج بيته، وكذلك في قصة حلفه صلى الله عليه وسلم أن لا يدخل على نساءه شهراء وأن عـمرًا استأذن له الأسود لما قال له : « يا رباح أستأذن لي » فذلك دليل على أن النبي كان يتخذ لنفسه بوابا ولولا ذلك لاما ستأذن عمر لنفسه ولم يحتج إلى قوله : « أستأذن لي » [1].

فالحجابة زمن النبي صلى الله عليه و سلم كانت مهمة بسيطة وعارضة لذلك كان من يقوم بها يدعى غالبا البواب أو الآذن أو الشتان [2].

(1) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد ، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، تقديم : رائد بن صبري بن أبي علفة، بيت الأفكار الدولية، لبنان، (د/ط) ، 2004م ،ج٥ ، ص174

(2) الدينوري، أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، د/ط، 1996م ،ج1 ص85

المطلب الثاني: الحجابة زمن الخلفاء الراشدين:

لم تختلف الحجابة في عصر الخلافة الراشدة كثيرا عنها في حياة الرسول صلى الله عليه و سلم، فلم تكن وظيفة راتبة ذات اختصاصات معقدة، وإنما ظلت مهمة بسيطة يؤديها مولى الخليفة على نحو ما كان يؤديها مولى الرسول صلى الله عليه و سلم في العصر النبوي فالحجابة بالمفهوم الاصطلاحي لم تكن معروفة في الخلافة الإسلامية الأولى لما في الشريعة من منع لمدافعة ذوي الحاجات، فيقول ابن خلدون : « أما مدافعة ذوي الحاجات عن أبوابهم فكان محظورا بالشريعة فلم يفعلوه...»[1].

فالخلفاء الراشدون كانوا يقضون معظم أوقاتهم في المساجد ولم يكونوا يمنعون أحدا من الدخول عليهم، بل كانوا يخاطبون عامة الناس وخاصتهم بلا حجاب، فالخليفة كان يعتبر نفسه واحد من المسلمين، وكان الفقير والغني، الضعيف والقوي، يجالسون الخلفاء ويطرحون عليهم مختلف انشغالاتهم، وكانت أبوابهم مفتوحة لذوي الحاجات ليلا و نهارا[2].

ولقد كان للفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع رسول كسرى حادثة مشهورة إذ جاء الرسول ليسأل عن الخليفة عمر، فسأل عن مكان وجوده، فقيل له انه في ظاهرها فذهب إليه إذ هو قد افترش الأرض ونام نوما مطمئنا فنظر إليه وقال : « عدلت، فأمنت فنمت، أما حكامنا فظلموا فخافوا فاحتجبوا » [3].

فالحجابة زمن الخلافة الراشدة كانت مقتصرة على الاستئذان للخليفة فقط فيذكر القلقشندي في صبح الأعشى أن موضوع الحجابة عند الخلفاء الراشدين هو حفظ باب الخليفة و الاستئذان للداخلين عليه فقط[4].

([1]) ابن خلدون، **مصدر سابق**، ج2، ص 637

([2]) رحيم كاظم محمد الهاشمي و عواطف محمد العربي شنقارو، **الحضارة العربية الاسلامية دراسة في تاريخ النظم** الدار المصرية، القاهرة، (د/ط)، 2002م ، ص23

([3])ابن سعد، محمد بن منيع الزهري، **الطبقات الكبرى** ،تحقيق: محمد علي عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط1 ، 2001م ج3 ، ص393

([4]) القلقشندي، أبي العباس أحمد، **صبح الأعشى** ، مطبعة الأميرية. القاهرة ، (د/ط)، 1915م ، ج5 ، ص449

ويمكن أن نلمح بين الوقائع التاريخية ما يدل على أن هذه المهنة رغم احتفاظها ببساطتها غدت أكثر تنظيما وصار لها بعض القواعد البسيطة، كأن يميز الآذن بين المستأذنين و يقدم بعضهم على بعض على سبيل المثال كان يتم التمييز بين المستأذنين على عمر بن الخطاب ولكن المفاضلة بينهم لم تكن بالأحساب أو الجاه وإنما كانت المفاضلة وفقا للسابقة في الإسلام فيقدم صهيب وعمار وسليمان على سهيل بن عمر وعُيينة بن حصن والأقرع بن حابس[1].

وإذا أردنا تتبع حجاب الخلفاء الراشدين وجدنا أن أبا بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين كان حاجبه شديد مولاه وشريف، وأن حاجب عمر بن الخطاب برق، وكذلك يرفأ مولاه وقد اتهم يرفأ أنه أول من أرتشى في الاسلام، وكان حاجب عثمان بن عفان ومولاه حمران بن أبان[2]، إضافة إلى نائل الذي حجبه أيضا، أما في عهد علي بن أبي طالب فقد حجبه قنبر مولاه، وفي المدة القصية التي بايع العراقيون فيها الحسن بن علي قبل أن يتنازل لمعاوية عن الخلافة حجب له سالم مولاه وقيل قنبر مولى أبيه[3].

لعل هذا يدل على أن الحجابة لم تكن كلها اقتباسا عن الفرس و الروم، وإنما كانت لها في تلك البدايات البسيطة و الإرهاصات التنظيمية جذور عربية.

([1]) الدينوري ، **عيون الأخبار**، ج1، ص85

([2]) **حمران بن أبان**: مولى عثمان بن عفان كان من سبي عين التمر، اشتراه عثمان و هو الذي كان يأذن الناس على عثمان، توفي سنة 75هـ (أنظر إبن كثير عماد الدين أبي الفداء، **البداية و النهاية**، تحقيق عبد المحسن التركي، دار الهجر، مصر،ط1، 2006م،ج5،ص12

([3])القلقشندي، مصدر سابق ، ج5 ، ص449

المبحث الثالث: حكمها :

لقد وردت كلمة حجاب في القرآن الكريم في الآية (05)من صورة فصلت، بمعنى الحاجز كما في قوله تعالى : « **و من بيننا وبينك حجاب** »[1] .

وقد اختلف الفقهاء في الحجاب، منهم من ينهي عنه و منهم من يجوزه، فقال الشافعي وجماعته :« أنه لا ينبغي للحاكم أن يتخذ حاجبا»، وقد حمل على زمن سكون الناس واجتماعهم على الخير، وطواعيتهم للحكام[2].

ويستند هؤلاء الناهون عن الحجبة إلى أحاديث إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ينهي فيها عن الحجبة فمن حديث عمرو بن مرة الجهني قال لمعاوية سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من إمام يغلق بابه دون ذوي الحاجات، إلا أغلق الله أبواب السماء خلته و حاجته و مسكنته »[3].

ورُوي عنه صلى الله عليه و سلم أنه قال:« من ولي من أمور المسلمين شيئا فاحتجب عن حاجتهم احتجب الله عنه يوم القيامة وعن حاجته و خلته وفاقته » [4].

كما رُوي أنه صلى الله عليه و سلم قال:« يأيها الناس من ولي منكم عملا فحجب بابه عن ذوي حاجة من المسلمين حجبه الله أن يلج إلى باب الجنة » [5].

وقال أيضا صلى الله عليه وسلم:« من كن فيه من الولاة اضطلع بأماتته و أمره، إذا عدل في حكمه ولم يحتجب دون غيره وأقام كتاب الله في القريب والبعيد » [1].

([1]) القرآن الكريم، صورة فصلت، الآية 05

([2]) ظافر القاسمي ، مرجع سابق ،ج2، ص414

([3]) القلقشندي، **مآثر الأنافة في معالم الخلافة**، تحقيق : عبد الستار أحمد الفراج، عالم الكتاب، بيروت، ط1، 1964م ، ج1 ص 61

([4]) القرطبي، أبي عمر يوسف بن عبد الله النمري : **بهجة المجالس و أنس المجالس**، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1،د/ت، م2 ص 265

([5])ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، **المصباح المضيء في خلافة المستضئ** ، تحقيق: ناجية عبد الله ابراهيم، شركة المطبوعات، بيروت، ط1، 2000م، ص 292

ويستند الناهون عن الحجبة أيضا إلى أقوال ينسبونها إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثاني الخلفاء الراشدين و الذي كانت أفعاله مثلا يحتذى بها ويقاس عليها، فقد كان رضي الله عنه يوصي عماله بقوله : « إياكم و الحجاب و أظهروا أمركم البراز » وقيل أنه رضي الله عنه كتب إلى معاوية بن أبي سفيان وهو عامله على الشام « إياك و الاحتجاب دون الناس وأذن للضعيف وأدنه حتى ينبسط لسانه ويجترئ قلبه ، وتعهد الغريب فإنه إذا طال حبسه وضاق اذنه ترك حقه وضعف قلب » [2].

كما أن ابن الجوزي أكد هو الأخر أن أمر اتخاذ الحاجب كان محظورا في الشريعة الإسلامية فيقول : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إذا استعمل رجلا أشهد عليه و اشترط عليه أربعا : « ألا يركب برذونا، و لا يلبس ثوبا رقيقا ، و لا يأكل نقيا ، و لا يغلق بابا دون حوائج الناس، و لا يتخذ حاجبا .ثم يقول اللهم أشهد » [3].

و الذين ينهون عن الحجابة فيرون أن شدة الاحتجاب تضر بالدولة فهي تطلق يد العمال في الرعية فيظلمون العوام، كما يرون أنها مضيعة للأشغال ومبعدة للإخوان، كما أنه كره الحجاب لأن الحاجب ربما يفعل ما لا يراه المحتجب، فيقول الماوردي في كتابه نصيحة الملوك: وليعلم الملك أن في شدة الحجاب تنفيرا لذوي الفضائل الجليلة و الهمم البعيدة وتكديرا للصنيعة، واستفسادا للرعية، ودلالة على الريبة. وحكى عن الهيثم بن عدى أن خالد بن عبد الله القسري قال لحاجبه : « لا يحجب عني أحدا إذا أخذت مجلسي، فإن الوالي لا يحجب إلا عن ثلاثة : عمن يكره أن يطلع منه، أو ريبة أو بخل فيكره أن يدخل عليه من يسأله حاجة » [4]

([2])الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر ، **رسائل الجاحظ**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة،(د/ط) (د/ت)،ج2 ، ص 3

([2]) الجاحظ ، **رسائله**، ج2، ص31

([3])ابن الجوزي، **مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب**، دار ابن خلدون، الإسكندرية ، (د/ط) ،(د/ت)، ص 111

([4]) الماوردي، أبي الحسن ، **نصيحة الملوك** ، دراسة و تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية (د/ط)، (د/ت)، ص280

فأخذ ذلك محمود الوراق فقال :

إذا اعتصم الوالي بإغلاق بابه و رد ذوي الحاجات دون حجابه

ظننت به احدى ثلاث ،وربما نزعت بظن واقع بصوابـــــه

فقلت : به مس من العي ظاهر ففي اذنه للناس اظهار ما بـــــه

فإن لم يكن على اللسان فغالب من الشح يحمي ماله عن طلابـــه

فإن لم يكن هذا و لا ذا قريبـــة يصر عليها عند اغلاق بابـــــه

فلا ينبغي للملك أن يشدد حجابه، فانه يدل على الكبر و سوء الملكة ويورث المقت وينغص المعروف، و ينسي الحسنات، و يذكر السيئات مع ما ينقطع من السلطان بذلك من منافع من يرد بابه، فمن به إليهم أعظم الحاجة في وجوه العلم و العمل، قالوا: و حجب بعض ذوي الهمم البعيدة و الأنفس الأبية عن بعض الملوك فرجع وأنشد يقول :

سأترك هذا الباب ما دام اذنه على ما أرى، حتى يلين قليـــلا

فما خاب من لم يأته متضرعا و لا فاز من قد نال منه وصولا

إذا لم أجد يوما إلى الإذن سلما وجدت إلى ترك المجيئ سبيلا[1]

(1)الماوردي، المصدر السابق، ص 281

أما الذين يجوزون الحجابة فيرون أن الإحتجاب و الظهور ينبغي أن يكون على قدر محكم وحدّ معتدل، فلا يغالي في الحجاب، و لا يغالي في الظهور، لإن الظهور الزائد مسقط للهيبة فيجب أن يكون الحاكم فيها معتدل، وأن يكون له في أوقات حجبته من يعلمه بما يجري في رعيته و يقدم عليه .

و يعتقدون أنه إذا كان الرسول صلى الله عليه و سلم قد نهى عن الحجبة، فإنما كان نهيه عن الاحتجاب التام الذي يضر بمصالح الناس، ويمنع وصول ذوي الحاجات إلى أولي الأمر ولم يكن صلى الله عليه و سلم يقصد الحجاب المعتدل المنظم لأنه كان نفسه عليه الصلاة والسلام إذا فرغ من أمور المسلمين وانشغل بأمور أهله أو خلا بنفسه ضرب الحجاب بينه و بين الناس و قام له آذن يحفظ بابه فلا يدخل عيه أحد إلا بإذنه حتى إذا فرغ من أمر أهله أو نفسه رفع الحجاب بينه و بين الناس و برز لطلاب الحاجات و قد وردت أحاديث الصحاح عن الرسول صلى الله عليه و سلم أنه كان يحتجب فلا يدخل عليه أحد إلا بإذنه [1].

وروي عن النبي صلى الله عليه و سلم أن رجل استأذن عليه و هو في بيته فقال له : أألج ؟ فقال النبي صلى الله عليه و سلم لخامه : أخرج إلى هذا فعلمه الإستئذان وقل له يقول : السلام عليكم أأدخل[2].

و إذا كان البعض يستند الى بعض أقوال الخليفة عمر بن الخطاب في النهي عن الحجابة فلعمر نفسه أقوال أخرى نثبت أنه أقر الحجاب، و إن اشترط عدم المغالاة فيه، فقد كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري وهو عامل له : « بين الناس في نظرك وحجابك واذنك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك»[3].

([1]) الخضرمي، ابي بكر محمد بن الحسن المرادي، **كتاب السياسة أو الإشارة إلى تدبير الإمارة**، تحقيق: محمد حسن إسماعيل و أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م، ص87

([2]) ابن عبد ربه، مصدر سابق، ج1 ، ص 70

([3]) الجاحظ ،مصدر سابق ، ج2، ص31

و ذكر ابن قتيبة أنه حضر باب عمر بن الخطاب جماعة منهم سهيل ابن عمرو، و عيينه بن حصن والأقرع بن حابس، فخرج الآذن فقال : « اين صهيب ؟ أين عمار؟ أين سليمان ؟ فتمعمرت وجوه القوم فقال واحد منهم : لم تتمعمر وجوهكم ادعوا ودعينا فاسرعوا و ابطانا ولئن حسدتموهم على باب عمر لما اعد الله لهم في الجنة اكثر»[1].

إذن لم يكن النهي عن الحجاب إلا نهيا عن المغالاة في الحجاب و نهيا عن الاحتجاب التام الذي يحول دون وصول الناس إلى ولاة الامور .

و هناك من الخلفاء من نسبت إليهم أقوال ظاهرها النهي عن الحجاب غير أنهم في الواقع يأخذون بالحجابة و لهم حُجاب يحجبون لهم، فلقد روي أن معاوية ولى ابنه يزيد عملا من الأعمال فاتخذ حجابا يحجبونه عن الناس ولم يكن يخرج لتعاطي الأحكام، فشكاه الناس لوالده معاوية، فنهى معاوية ولده عن الحجاب[2].

و قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لعبد الله علي أمير المؤمنين حين ولاه حكم مصر« ... ولا تحجب عني الرعية، فان احتجاب الولاة عن الرعية شبعة سن الضيق، و قلة علم بالأمور»[3].

فعلي رضي الله عنه قد نهى عن الحجاب رغم أنه خص بعض الموالي بهذه المهمة من باب الاستاذان للناس في الدخول عليه، و لا يعني هذا انه قد الغى الحجاب، و انما كلاهما ينهي عن المغالاة فيه و منع الناس من الوصول إلى ولاة الأمور.

إذن النفي للحاجب في بعض الأوقات لا يستلزم النفي المطلق، و غاية ذلك أنه صلى الله عليه و سلم وأن لم يكن له حاجب راتب لأنه كان هناك من تولى هذه المهمة في عهده وكذلك في عهد الخلفاء الراشدون كما سبق الذكر.

([1])الدينوري، مصدر سابق ، ج1، ص80

([2]) الماوردي ، التحفة الملوكية ، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية،ط1، 1993م، م1 ، ص114

([3]) فتيحة النبراوي، تاريخ النظم و الحضارة الاسلامية ، دار الفكر الغربي ، القاهرة ،(د / ط) : 2005 ، ص 23

الفصل الثاني : تطور الحجابة في العصر الأموي و العباسي

المبحث الأول : الحجابة زمن الأمويين

المبحث الثاني : الحجابة زمن العباسيين

المبحث الأول: الحجابة زمن الأمويين:

بعد أن كانت الخلافة الإسلامية الأولى تتسم بطابع البساطة والبداوة، كانت الحجابة مهمة بسيطة ولم تصل إلى أن تكون خطة راتبة، فكان من الجائز أن يبقى الحال كذلك بعد أن انتقل الحكم للأمويين، لأن التأثر بالأعاجم كان بعد ضعيفا ولاتزال روح البداوة مسيطرة على العرب حتى قيل أن دولة بني أمية «عربية أعرابية»[1].

ولكن الوضع كان مختلفا، فسرعان ما أصاب هذه الخطة تطورا هاما و ملحوظا مع قيام الدولة الأموية، فتخطت مدلولها البسيط الذي كان يقتصر على مجرد حفظ الباب والإذن وأصبح لها مدلولها الاصطلاحي كوظيفة راتبة لها قواعد و أصول ويشترط فيمن يتولاها صفات مميزة.

فما أن انتقل الحكم إلى بني أمية حتى ظهرت هذه الخطة كوظيفة في بلاط الخلافة، فقال ابن خلدون : « فلما انقلبت الخلافة إلى ملك وجاءت رسوم السلطان وألقابه، كان أول شيء بدء به في الدولة شأن الباب وسده دون الجمهور... »[2].

وقال ابن الأزرق « وعند انقلابها ملكا اتخذ الخليفة موظفا خاصا يسمى الحاجب »[3].

ويفهم من هذا ابتعاد الأمويين عن البساطة، إذ أصبحت الخلافة أقرب إلى السياسة منها إلى الدين، فتحول الخلفاء إلى ملوك مما أوجب الاختفاء، فكان معاوية أول من اتخذ الحجاب وقلده في ذلك خلفائه من بعده، وقد عرف عنه أنه ابتكر في الدولة الإسلامية أشياء لم يسبقه أحد إليها فقال عنه ابن طباطبا « أنه أول من وضع الحشم للملوك، ورفع الحراب بين أيديهم ووضع المقصورة التي يصلي الملك أو الخليفة بها في الجامع منفرد من الناس »[4].

([1]) أنور الرفاعي، **الإسلام في حضارته و نظمه**، دار الفكر، دمشق، ط2، 1997 ص199

([2]) ابن خلدون، مصدر سابق ، ج2، ص 638

([3]) ابن الازرق، محمد بن علي بن محمد الأندلسي شمس الدين الغرناطي، **بدائع السلك في طبائع الملك**، تحقيق: علي سامي النشار ، وزارة الإعلام، العراق، ط1، 2001م، ج1، ص 141

([4]) ابن طباطبا، محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي، **الفخري في الآداب السلطانية و الدول الاسلامية**، دار صادر بيروت، (د / ط)، 1966، ص 106

وقد تعددت الأسباب التي دفعت بمعاوية إلى اتخاذ الحجاب ونذكر من بينها:

1 ـ الظروف التي أحاطت بقيام الدولة الأموية و التي كانت تدعو إلى تعيين حُـجاب، فقيل أن معاوية قد فعل ذلك كارها مضطرا، وذلك بعد محاولة اغتياله الفاشلة على يد الخوارج لا سيما وأن هذه الاغتيالات كانت قد طالت أغلب الخلفاء الراشدين من قبله، وراح ضحيتها كل من عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضوان الله عليهم، فأيقن معاوية أنه من باب الحيطة و الحذر من الضروري اتخاذ الحجاب لحماية حياته خاصة بعد أن كثر المعارضين لحكمه، لاسيما الخوارج الذين كانوا قد أعلنوا عن نواياهم في القضاء على الخلفاء الأمويين[1] فيقول ابن خلدون : « ...كان أول شيء بدئ به في الدولة شأن الباب و سده دون الجمهور بما كانوا يخشون على أنفسهم من اغتيال الخوارج و غيرهم كما وقع بعلي و معاوية» [2].

فيبدوا أن أمر اتخاذ الحاجب كان ضرورة اقتضتها مصلحة السلطة الأموية و أهمية الحفاظ على حياة الحاكم.

2 ـ ولم يتخذ الأمويين الحجاب خوفا على أنفسهم من خطر الاغتيالات فحسب، بل أيضا تفاديا لازدحام الناس على أبواب الخلفاء بعدما اتسعت رقعة الدولة الاسلامية، و شملت طوائف و أجناس مختلفة من البشر هذا ما استدعى وجوب تنظيم أوقات و أيام مقابلة الناس و كانت هذه وظيفة الحاجب لكي يسهل على الخليفة القيام بالمهام المنوطة به، من أجل رعاية مصالح الناس و قضاء حوائجهم، لأن ازدحام الناس على أبوابهم يشغلهم عن النظر في مهام الدولة ([3]) فيقول ابن خلدون : «...إن السلطان في نفسه ضعيف يحمل أمرا ثقيلا فلا بد له من الاستعانة بأبناء جنسه ... وهو إما يستعين في ذلك بسيفه أو قلمه أو رأيه أو معارفه

([1]) حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي**، دار جيل، بيروت، ط14، 1996م، ج2، ص215

([2]) ابن خلدون ،**مصدر سابق** ، ج2 ، ص 637

([3]) إبراهيم أيوب، **التاريخ العباسي السياسي و الحضاري**، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، ط1، 1989م، ص218

أو بحجابه عن الناس أن يزدحموا عليه فيشغلوه عن النظر في مهماتهم أو يدفع النظر في الملك كله »[1].

ولعل أن هذين أهم سببين دفعا بمعاوية و الخلفاء الأمويين من بعده إلى اتخاذ الحجاب لكن يجب الإشارة أيضا إلى ما ذكره الأربلي عن هذه الوظيفة، باعتباره لها أنها مقتبسة من الإدارة الفارسية بعدما أخذ الخلفاء الأمويين يظهرون بمظاهر الأبهة مقلدين ملوك وأباطرة الفرس فيقول : « إن أمر اتخاذ الحاجب، أو خطة الحجابة هي مما اقتبسه العرب عندما أخذوا بمظاهر الكسروية » [2].

و لكن بغض النظر إن كانت هذه الوظيفة مقتبسة من الإدارة الفارسية أو أنها ظهرت في النظام الإداري للدولة الأموية لأسباب و ظروف معينة و قد سبق ذكرها، إلا أنها قد حظيت بمكانة واسعة في بلاط الدولة فقد كان الحاجب يشغل منصبا ساميا رفيعا في قصر الخليفة و نظرا لأهمية هذا المنصب فقد وضع الخلفاء الأمويون شروطا لمن يتولى هذه الوظيفة باعتبار منصب الحاجب منصبا هاما وخطيرا في نفس الوقت، فيحتاج من يتولاه استعدادا خاصا وثقافة وعلما فضلا على أنه يجب أن يكون محل ثقة من قبل الخليفة، لأنه يمثل وجه الخليفة ولسانه و قد اشترط فقهاء السياسة عدة شروط أو صفات ينبغي توفرها في الحاجب فقال الماوردي : « أنه يشترط في الحاجب ثلاثة شروط مستحقة هي : العدالة و العفة والأمانة. و خمس شروط مستحبة هي : أن يكون حسن المنظر و جميل الخبر عارفا بمقادير الناس، بعيدا عن الهوى، معتدل الأخلاق بين الشراسة و اللين» [3].

و يحدد أبو بكر الحضرمي القيرواني ما ينبغي توافره من صفات في الحاجب فيقول : « و يجب أن يكون الحاجب سهل الوجه، لين العريكة، سالم الجوارح من كل آفة، عارفا

([1]) ابن خلدون، مصدر سابق، ص634

([2]) الأربلي، عبد الرحمن سنبط، **خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك**، مطبعة القديس جارجيوس (د/ط)، 1885م، ص 3

([3]) الماوردي ، نصيحة الملوك، ص 415

بالناس و منازلهم و أقدارهم عند رئيسه حتى يكون وجهه عنوانا عن وجه محجوبه من غضب و رضى وإبعاد وإدناء »[1].

أما ابن أبي ربيع فيرى أن الحاجب « يجب أن يكون فهما، ذا خلق واسع و منطق بارع و أن يكون طويلا جسما لتروع العيون هيأته و هيبته، و أن يكون ذا عقل و حكمة يدلانه على صواب ما يأتي و يذر، و ينبغي أن يكون لا مكفهرا ولا سهلا لين الانقياد، ويجب أن يعرف مراتب الداخلين على الملك فينزلهم منازلهم، و يجب عليه أن يعرف سيّر الملوك و قواعدهم، و خاصة الملك و عامته »[2].

ويصف ابن هلال الصابئ الحاجب فيقول : « سبيل الحاجب أن يكون نصفا، متكهلا قد أحكمته الدهور و حنكته، أو شيخا متماسكا قد عجمنه الدهور و عركنه، و له عقل و حزم يدلانه على الصواب ما يأتي و يذر، فهو صبحان، له ما يورد و يصدر» ([3])

فنظرا لأهمية و خطورة هذا المنصب، فقد حرص الخلفاء الأمويين على ضرورة توفر هذه الشروط في حُجابهم، لذلك فقد أوصى الخليفة عبد الملك بن مروان أخاه عبد العزيز حين مضى إلى مصر أميرا عليها فقال له : « ...و انظر حاجبك فليكن من خير أهلك، فإنه وجهك ولسانك، و لا يقفن أحد ببابك إلا أعلمك مكانه لتكون أنت الذي تأذن له أو ترده... » [4].

([1]) الخضرمي ، مصدر سابق، ص113

([2]) ابن أبي الربيع، شهاب الدين أحمد، **سلوك المالك في تدبير الممالك**، تحقيق: أحمد عبد الغني، دار كنان، دمشق (د/ ط)1996، ص160

([3]) الصابي، أبي الحسن هلال بن المحسن، **رسوم دار الخلافة**، تحقيق و تعليق : ميخائيل عواد ، دار الرائد العربي بيروت ط2 ،1988م ، ص 71

(4) ابن طباطبا ، مصدر سابق ، ص126

ويقول الحضرمي أن « من لا يحسن اختيار كتابه و حجابه و أعوانه، فأحرى أن لا يحسن التصرف في سلطانه »[1].

و في موقف مماثل نجد عمر بن هبيرة الفزاري والي العراق ليزيد بن عبد الملك يوصي مسلم بن سعيد الكلابي عامله على خرسان 104هـ/722م بقوله : « أوصيك بحاجبك فهو وجهك الذي تلقى الناس به ، فإن أحسن فانت المحسن و إن أساء فأنت المسيء »[2].

وقد كان معاوية يأمر حاجبه أن يأذن للناس على قدورهم ومنازلهم فقد« وقف الأحنف بن قيس ومحمد بن الاشعث بباب معوية ، فأذن للأحنف ثم أذن لأبي الأشعث فأسرع في مشيته حتى تقدم الأحنف ودخل قبله، فلما رآه معاوية قال والله اني ما أذنت له قبلك و أنا أريد أن تدخل قبله وإنما نلي أموركم نلي آدابكم ولا يزيد متزيد في خطوة إلا لنقص يجده في نفسه » [3]، ولقد استحجب معاوية أبا أيوب [4]، وقيل أيضا صفوان أو يزيد مولاه [5] وقيل كان حاجبه مولاه سعد[6].

ولما تولى يزيد الخلافة بعد أبيه معاوية كان له حجاب لا يقل عن حجاب أبيه ولعله كان أشد، حتى أنه عوتب فيه، فقد قيل أن هانئ بن قبيصة وفد على يزيد بن معاوية فاحتجب عنه يزيد أياما، ثم ركب يزيد يوما ليتصيد فتلقاه هانئ فعاتبه[7].

وكان حاجبه خالد مولاه وقيل صفوان مولاه، وإذا كان معاوية الثاني بن يزيد قد تولى الخلافة لمدة قصيرة(60هـ – 64هـ/680م - 683م) ثم خلع نفسه منها فقد استحجب في تلك

---

(1) الخضرمي، المصدر السابق ، ص 108
(2) ابن الجوزي، **المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم** ، دراسة و تحقيق : محمد عبد القادر عطا دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1992م، ج5، ص373
(3) ابن عبد ربه، **العقد الفريد** ، ج1 ، ص68
(4) ابن خياط خليفة: **تاريخ خليفة بن خياط** ، تحقيق : أكرم ضياء العمري ، دار طيبة ، الرياض ،ط2 ، 1985 ، ص 228
(5) المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين، **التنبيه و الإشراف** ،دار صادر، بيروت، (د / ط)، 1895م، ص 278
(6) ابن الأثير، محمد بن محمد الشيباني ، **الكامل في التاريخ** ، راجعه و صححه: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، ج4 ، ص 11
(7) المسعودي ، المصدر السابق ، ص 281

الفترة القصيرة صفوان مولاه، فاضطربت أمور الدولة ما جعل مروان بن الحكم يخفف كثيرا من الحجاب ليتقوى بأهل الشام ضد عبد الله بن الزبير، ولكنه لم يلغه تماما، فقد قيل أنه استحجب مولاه أبا سهيل الأسود[1] .

ولما عاد الاستقرار للدولة الأموية في خلافة عبد الملك بن مروان (65هـ - 86هـ/ 685م - 705م) الذي أخذ في توطيد دعائم الدولة من جديد واستعادة مظاهر عظمتها وأبهتها، عاد الحاجب إلى ما كان عليه في خلافة معاوية، ولعل هذا ما دعا القلقشندي إلى القول : « بأن الحجاب حدث أول ما حدث في الدولة الأموية في خلافة عبد الملك بن مروان » [2].

كما دعا ابن خلدون إلى اعتبار عبد الملك بن مروان المؤسس الثاني للحجاب بعد معاوية[3] وكان حاجبه أبو يوسف مولاه[4] .

وسار خلفاء عبد الملك على نهجه، فاستحجب ابنه الوليد بن عبد الملك خالدا ثم سعيد مولاه واستحجب سليمان بن عبد الملك أبا عبيدة مولاه وقيل أبا عسكر، وحجب لعمر بن عبد العزيز مولياه حبيس و مزاحم، وحجب ليزيد بن عبد الملك مولياه خالد وسعيد وحجب لهشام بن عبد الملك غالب بن مسعود مولاه والأبرش الكلبي حاجبه، وحجب ليزيد بن الوليد قطرى، وحجب ابراهيم بن الوليد أيضا، ثم حجب لمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية مولاه صقلاب.[5]

وعلى الرغم من حرص الخلفاء الأمويين على الاحتجاب عن الرعية، إلا أننا نجد أنهم قد استثنوا من هذه المراسيم بعض الأشخاص وهم المؤذن، صاحب البريد، وصاحب الثغر وصاحب الطعام، فيقول ابن خلدون : « أن الخليفة عبد الملك بن مروان قال لحاجبه : قد

---

(1) ابن خياط ، المصدر السابق ، ص263
(2) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج3 ، ص 19
(3) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ج2 ، ص705
(4) ابن خياط ، المصدر السابق، ص 299
(5) الأربلي ، مصدر سابق ، ص26 ، 27، 31، 47،92

وليتك حجابة بابي إلا عن ثلاث : المؤذن للصلاة فإنه داع إلى الله، وصاحب البريد فأمر ما جاء به، وصاحب الطعام لئلا يفسد » [1].

وكذلك فعل زياد بن أبيه[2] فقال: « ياعجلان إني وليتك حجابة بابي وعزلتك عن أربع: هذا منادي إلى الله في الصلاة و الفلاح لا تحجبه عني فلا سلطان لك عليه، وطارق الليل لا تحجبه فشر ما جاء به ولو كان خيرا ما جاء به في تلك الساعة، ورسول الثغر فإنه إن أبطأ ساعة أفسد عمل سنة فأدخله علي وإن كنت في لحافي، وصاحب الطعام فإن الطعام إذا أعيد تسخينه فسد» [3].

كما أن ابن كثير أورد أن بعض الخلفاء الأمويين لم يتخذوا حجاباً فقال: « أن بشر بن مروان أخو عبد الملك بن مروان ولي إمرة العراقيين لأخيه عبد الملك كان لا يغلق دونه الأبواب ويقول إنما يحتجب النساء » [4].

ولعل هذا كان من باب التسهيل للوافدين عليهم.

ولكن في أواخر الدولة الأموية تشدد الحجاب في منع الناس من المثول بين يدي الخلفاء فعندما قدم وفد من البربر برئاسة ميسرة على قصر الخلافة بدمشق لمقابلة الخليفة هشام بن عبد الملك وتقديم شكواهم مما يلاقيه قومهم في المغرب الاسلامي من عسف ولاتهم واستبدادهم بهم وسوء معاملتهم لهم، فمنعهم وزيره الابرش عن ذلك، وظلوا مقيمين على

([1]) ابن خلدون ، المصدر السابق ،ج2، ص 637

([2]) **زياد بن أبيه**: ولد عام فتح مكة، أمه سمية جارية الحارث ، و هو من أهل الطائف، أدرك الرسول صلى الله عليه و سلم ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر، ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس، وألحقه معاوية وولاه البصرة و الكوفة و الحجاز، مات في شهر رمضان سنة 53هـ (أنظر: الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: محمد نعيم، مؤسسة الرسالة، سوريا، ط2،1982م، ج3، ص494

([3]) ابن عبد ربه مصدر سابق ،ج1، ص 53

([4]) ابن كثير، **البداية و النهاية**، ج9، ص 7

بابه حتى يئسوا من لقائه، فتركوا للوزراء رقاعا بمطالبهم وانصرفوا بعد ذلك ساخطين ليشعلوا نار الثورة في المغرب[1] .

وإذا كانت تلك أوامر الحكام لحجابهم يحددون لهم فيها عملهم، فإن فقهاء السياسة قد حددوا عمل الحاجب نظريا فيقول ابن أبي الربيع: « وأما الحاجب فهو الواسطة بين الملك وبين من يريد لقاءه، ليرتب الناس بين يدي الملك، كما يليق بمجلسه، ويجب عليه مراعاة الوزير و الامتثال لأمره لأنه المشار إليه دونه، وينبغي أن يعرف أخبار الملك في كل وقت ويوصل إليه الأخبار وليأمر البوابين بانتهاء ما يرد عليهم لئلا يخفا عنه من دار الملك شيء وليعرف الأوقات التي يجلس فيها الملك والأوقات التي يكون في خلوته، وينبغي له أن يراعي خواص الملك ويكرمهم ولا يفسح لأحد منهم في الدخول عليه إلا بإذنه ولو كان ولدا» [2].

(1) إبراهيم سلمان الكروي، **المرجع في الحضارة العربية الإسلامية**، مركز الإسكندرية، مصر، (د/ط)، 2007م ، ص66

([2]) ابن الربيع ، مصدر سابق ، 160 ، 161

المبحث الثاني: الحجابة زمن العباسيين :

لما قامت الدولة العباسية اقتدى خلفائها بالأمويين في مسالة الحجابة، فاتخذوا الحجاب و نصحوهم بعدم التشدد في معاملة الناس الذين يرغبون في مقابلتهم، ويبدوا أن عبد الله السفاح (132هـ - 136هـ / 750م - 754م) أول خلفاء بني العباس كان قد تساهل في الحجاب أول خلافته، ولعله فعل ذلك تقربا من الرعية واستمالة لهم في الظروف الحرجة التي عاشتها الدولة العباسية في أول قيامها، لكنه ما لبث بعد أن توطد له الأمر أن شدد الحجاب فقال المسعودي أن السفاح كان يظهر في أول أيامه لندمائه ثم احتجب عنهم لسنة خلت من خلافته وصار قعوده من وراء الستارة[1]، وقد استحجب أبو العباس السفاح سلام أبا غسان[2].

وكذلك روي عن الخليفة المنصور أنه عندما ولى الخصيب حجابته قال له : « أنك بولايتي عظيم القدر و بحجابتي عظيم الجاه فأبقها على نفسك، ابسط وجهك للمستأذنين وصن عرضك عن تناول المحجوبين فما شيء أوقع بقلوبهم من سهولة الإذن و طلاقة الوجه »[3].

وعندما اتخذ الخليفة الهادي الفضل بن ربيع حاجب بعد ابيه قال له : « لا تحجب عني الناس فان ذلك يزيل عني البركة، و لا تلقي إليّ أمرا إذا كشفته أصبته باطلا، فإن ذلك يوقع الملك و يضر الرعية » [4].

---

(1) المسعودي، ، **مروج الذهب و معادن الجوهر** ، مراجعة : كمال حسين مرعي ، المكتبة العصرية بيروت ، ط1 2006م، ج3 ، ص221

(2) ابن كثير،مصدر سابق ،ج10 ، ص54

(3) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: علي بوملحم ، دار الكتب العلمية لبنان ، ط1 ، 2003م ، ج5 ، ص87

(4) الجاحظ ، مصدر سابق، ج2، ص 33

وقد اقتصر عمل الحاجب في أول الأمر على حفظ الباب للخليفة و الاستئذان للداخلين عليه، ثم سرعان ما استبد بالأمر و صار يمنع الناس من مقابلة الخليفة إلا في الأمور الهامة

كما أسرف الحجاب في منع الناس من المقبلات الرسمية و لعل هذا السبب الرئيسي في نشأة ما أسماه ابن خلدون الحاجب أو الحجاب الثاني [1].

فصار بين الناس و الخليفة داران، دار الخاصة و دار العامة و كان الخليفة يقابل كل طائفة بحسب حالاتها و ظروفها في كمان معين وفقا لما يراه الحاجب، فيقول ابن خلدون : « فصار لهم حجاب أخص من الحجاب الأول يفضى إليهم منه خواصهم من الأولياء و يحجب دونه من سواهم من العامة، و الحاجب الثاني يفضى إلى مجالس الأولياء ويحجب من سواهم من العامة... وصار بباب الخلفاء داران للعباسية : دار الخاصة و دار العامة كما هو مسطور في أخبارهم » [2].

وهذا ما أحدث فجوة بين الخليفة و الرعية فانقسم المجتمع البغدادي إلى طبقتين، عامة و خاصة لذلك تم تعيين حاجبين حاجب لدار العامة و هو الحاجب الذي يرتب دخول عامة الناس إلى الخليفة مثل: النجارين و أصحاب المهن و غيرهم، بينما الحاجب لدار الخاصة يرتب دخول المهمين و ذوي المناصب العليا مثل: الوزراء و القضاة وغيرهم، وعندما اشتد ضعف الدولة زادوا حاجبا ثالثا لكي يحجب السلطان عن العامة و الخاصة حجبا تاما و من هنا برز الحاجب الثالث و قوي نفوذه و توسع سلطانه[3].

([1]) أحمد عبد الرازق، **الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى** ، دار الفكر الغربي ، القاهرة ، ط1 ، 1999م ، ص65

([2]) ابن خلدون ، مصدر سابق، ج2، ص 704- 705

([3]) عصام الدين عبد الرؤوف، **معالم تاريخ و حضارة الاسلام**، دار الفكر الغربي، القاهرة ، (د / ط) ، 1998م ، ص269

و يمدنا صاحب كتاب رسوم دولة الخلافة باختصاصات الحاجب في هذا العهد فيقول : « كان الحاجب يرتب الحواشي فيما يتولونه ترتيبا لا يتجاوز بكل منهم فيه حده و ألا يحمله مالا يطيقه ثم يراعيهم مراعاة تدعوهم الى التحرز في الأعمال والتحفظ في الأعمال و مداولة الخدمة من غير اخلال » [1]

وكان للحاجب أن يعاقب كل من يخل بآداب دار الخلافة من أفراد الحاشية، مثلما عاقب خفيف السمرقندي حاجب المعتضد بالله العباسي جماعة من أولاد الأمراء و القواد على تقصيرهم بأن ضربهم بالمقرعة، كما كان للحاجب أن يراقب هيئة الداخلين إلى دار الخلافة ولباسهم و يراعي أن يكون لباسهم لائقا حتى يسمح لهم بالمثول بين يدي الخليفة [2].

وقد كان العباسيون يقدمون في الإذن أبناء الدولة العباسية، فقد قال المهدي ثالث خلفاء بني العباس للفضل بن ربيع حين ولاه الحجابة : « قدم أبناء الدعوة وثن بالأولياء، و اجعل للعامة وقتا إذا وصلوا أعجلهم ضيقة عن التلبث» [3].

وكما اهتم الأمويون بما يجب توفره من صفات في حجابهم، كذلك فعل العباسيون

وروى الجاحظ فقال، قال المنصور للمهدي: « لا ينبغي أن يكون الحاجب جهولا، ولا غبيا ولا ذهولا ولا متشاغلا ولا خاملا ولا محتقرا ولا جهما ولا عبوسا » [4]

([1]) الصابي ، رسوم دار الخلافة ، ص80

([2]) الصابي ، نفسه ، ص86

([3]) البيهقي إبراهيم بن محمد، **المحاسن و المساوئ**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة، (د / ط) 1991م ، ج1 ، ص160

([4]) الجاحظ ، مصدر سابق ، ج2 ، ص37

ومع أن العباسيين أدخلوا خطة الوزارة في الدولة الإسلامية، و تبوأ الوزير المكانة الثانية في الدولة بعد الخليفة، فإن الحجابة ما لبثت هي الأخرى أن تبوأت مكانة مرموقة و توفر لها حجابا مرموقون نافسوا الوزراء في نفوذهم ومكانتهم، و لم تختلف الحجابة عن الوزارة في أن تكون لها أسرات تختص بها و تشتهر بتوليها كآل الربيع بن يونس الذين اختصوا بالحجابة مثلما اختص البرامكة بالوزارة. فقد كان الربيع بن يونس يتمتع بقدر كبير من الفطنة و الذكاء و الكفاءة، يقول عنه ابن طباطبا أنه كان : « جليلا نبيلا منفذا للأمور نصيحا كافيا حازما عاقلا فطنا خبيرا بالحسابات و الأعمال حاذقا بأمور الملك بصيرا بما يأتي و يذر محبا لفعل الخير»[1].

و يصفه ابن العمراني بأنه « كان كافيا حسن التدبير منفذا للأمور جلدا في حالتي الحجبة و الوزارة » [2].

و قد علت منزلة الحاجب في أيامهم برتقاء الحضارة الإسلامية، فأصبح يستشار في كثير من المهام و غدا له نفوذ في توجيه سياسة الدولة، وأخذوا يفصلون في العديد من القضايا التي تمس شؤون الإدارة مستغلين مكانتهم العالية و منزلتهم لدى الخلفاء و قربهم منهم، فقد استطاع الأقوياء من الحجاب أن يضعفوا قوة الوزراء عند الخلفاء[3].

كما أصبح للحاجب في هذه الحقبة حضور المناظرات الفقهية و أخذ البيعة و المشاركة أو الإشراف على فتح الخزائن بعد إذن الخليفة و المشاركة مع الجيش في الحروب ضد الروم و كان هذا عندما كانت الخلافة تحت سيطرة الخليفة أي عندما كانت في أوج قوتها لكن بعد أن ضعفت و تدخل الأتراك و البويهيين نري مهام الحاجب تجاوزت حتى سلطة الخليفة، فقد شارك الحجاب في قتل وخلع الخلفاء فضلا عن النظر في المظالم، وهذا ما كان من مهام الخليفة .

([1]) ابن طباطبا ، مصدر سابق، ص178

([2]) ابن العمراني محمد بن علي ، **الأنباء في تاريخ الخلفاء** ،تحقيق وتقديم: قاسم السمراني، دار الآفاق العربية، القاهرة ط1، 1999م، ص68

([3]) رحيم كاظم ، مرجع سابق ، ص24

ففي خلافة المنصور(136هـ - 158هـ / 753م - 775م) كان المتغلب على مهنة الحجابة زمن الخليفة المنصور الربيع بن يونس و ابنه الفضل بن ربيع. فقد كان الربيع بن يونس يتمتع بقدر كبير من الفطنة و الذكاء و الكفاءة، و قد كان المنصور يثق بالربيع بن يونس لأنه كان حاجبه ووزيره لدرجة أن المنصور فتح أمامه خزائنه مما قبض من خزائن مروان الحمار[1].

و لم يقتصر عمل الحاجب الربيع بن يونس على الحجابة فقط بل تعدى ذلك إلى حضوره مجلس الخليفة عند مناقشة أي مسالة، فقد حضر مناقشة الخليفة لابي حنيفة النعمان عندما طلب الخليفة منه أن يتولى مهام القضاء [2].

كما كان له دور في مناقشة الفقيه الأوزاعي، و الذي استأذن الخليفة المنصور بعدم لبسه للسواد، فقال الربيع: « لا إني لم أرى محرما أحرم فيه، و لا ميتا كفن فيه، و لا عروس جليت فيه فلهذا أكرهه »[3].

فضلا عن حضوره مناظرة الفقيه أحمد بن حبل حين امتحن في مسالة خلق القران و التي سميت محنة الإمام أحمد لما لقيه من عذاب و سوء معاملة [4].

كما كان للربيع بن يونس دور في اعطاء الأوامر في بناء جسر عند باب الشعير من بغداد و كان يتابع تشييد الجسر بنفسه و الإشراف على إنجازه [5].

([1]) الذهبي ، مصدر سابق، ج9 ، ص402

([2]) الطبري، أبو جعفر بن جرير ، **تاريخ الرسل و الملوك** ، تحقيق : محمد أبو الفضل ، مصر، ط2، ج8، 1971م ص 25

([3]) الطبري، المصدر نفسه، ج8، ص 68

([4]) الذهبي ، المصدر السابق، ج8، ص401

([5]) الطبري ، المصدر السابق ، ج8 ، ص52

كما أنه كان للحاجب الربيع دور في أخذ البيعة للمهدي و الهادي، بعد أن كتم موت الخليفة المنصور و أخذ البيعة للمهدي (158هـ- 169هـ / 775م - 785م) من رؤوس بني هاشم و القواد الذين هم مع الخليفة في الحج قبل دفنه، و بعث الحاجب الربيع بالبيعة مع البريد إلى المهدي و هو ببغداد، فدخل عليه البريد بذلك يوم الثلاثاء النصف من ذي الحجة فسلم عليه بالخلافة و أعطاه الكتب بالبيعة و بايعه فيما بعد أهل بغداد و نفذت بيعته إلى سائر الآفاق و ظل الربيع حاجبا للمهدي وعن طريقة استوزر المهدي يعقوب بن داود لصداقة كانت بين الربيع و بينه، فجعل يثني على يعقوب في خلواته بالمهدي حتى استوزر [1].

فكان الربيع بن يونس رأس أسرة من الحجاب المشهورين الذين تولوا الحجابة لعدد من الخلفاء العباسيين و برعوا فيها، وقد بلغت هذه الأسرة من المكانة و النفوذ ما مكنها أن تطاول أسرة مشهورة بالوزارة كالبرامكة. و ظل الربيع على الحجابة حتى تولى الخلافة موسى الهادي(169هـ - 170هـ / 785م - 786م)، الذي استوزه و لكن ما لبث أن عزلة عن الوزارة، و بعدها توفي الربيع وقيل أن الهادي دس له السم بعد أن دس أعداء الربيع له عند الهادي [2].

وورث الفضل بن ربيع عن أبيه مكانته و شهرته، بل لعله كان أخطر شأنا منه وأشد تأثيرا على مجرى الأحداث، وقد تولى الفضل بن ربيع الحجابة لأربعة خلفاء كان أولهم ابو جعفر المنصور الذي استحجبه يوم استوزر أباه الربيع [3]، ثم استحجبه المهدي و قال له حين ولاه الحجابة: « إني موليك سر وجهي و كشفه فلا تجعل الشر بيني و بين الناس سبب إراقة دمائهم بعبوس وجهك في وجوههم ... » .ثم حجب الفضل أيضا لموسى الهادي الذي

([1]) ابن طباطبا ، مصدر سابق، ص201

([2]) نفسه ، ص 166

([3]) الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس، **الوزراء و الكتاب**، تحقيق: مصطفى السقا و آخرون، القاهرة،ط1، 1938 ص125

أوصاه بقوله: « لا تحجب عني الناس فان ذلك يزيل البركة ، ولا تلقى إلي أمرا إذا كشفته وجدته باطلا فان ذلك يوقع بالملك و يضر بالرعية »[1].

و حجب أيضا للرشيد ففي خلافة الرشيد(170هـ - 193هـ / 786م - 809م) كان من حجابه بشر بن ميمون و الفضل بن ربيع [2].

و قد كان للفضل بن ربيع دورا كبيرا في الإيقاع بأسرة البرامكة عند الخليفة هارون الرشيد بعد أن كان هؤلاء قد حضوا بمكانة عالية لدى الخليفة، إلى درجة أنه فوض لبعض أفرادها أمور الدولة فذكر الجهشياري أن الفضل بن ربيع حرض الرشيد على جعفر البرمكي ونسب إليه أنه أهان الخليفة، فصرف الرشيد محمد بن خالد البرمكي عن حجابته و قلدها الفضل بن الربيع سنة 179هـ، فكان تقصيرهم بالفضل ابن الربيع سن أسباب نكبتهم [3].

وقد استوزر الرشيد بعد نكبته للبرامكة حاجبة الفضل بن الربيع وبقي في الوزارة حتى شهد وفاة الرشيد في طوس سنة 192هـ، كما كان للفضل بن ربيع أثر في وقوع الخلاف بين الأمين و المأمون، فهو الذي شجع الأمين على خلع أخيه أو الفتك به و تمزيق إمارته. مما كان سببا في نشوب الخلاف و لما حسم بقتل الأمين و تبوأ المأمون عرش الخلافة العباسية كان ذلك نهاية نفوذ الفضل بن ربيع و مكانته [4].

أما العباس بن الفضل بن ربيع فيمثل الجيل الثالث من آل الربيع بن يونس فقد تولى حجابة الرشيد مع والده الفضل، ثم تولى العباس بن الفضل الحجابة لمحمد الأمين، وقد كان لهذه الأسرة في الحجابة مكانة و نفوذ حتى قيل أنه لم يرى في الحجابة أعرف من الربيع

([1]) البيهقي ، مصدر سابق ،ج1، ص 160
([2]) نفسه ،ص161
([3]) الجهشياري ، مصدر سابق ، ص 233
([4]) ابن طباطبا ، مصدر سابق ، ص 210 ،212

ومن ولده الفضل و من العباس بن الفضل ، بمعنى أن العباس حاجب الأمين هذا كان حاجب بن حاجب ابن حاجب و قد مدحهم أبو نواس بقوله :

ساد الملوك ثلاثة، ما منهـــــم أن حصلوا إلا أغر قريـــــــــع

عباس عباس إذا احتدم الوغـــى و الفضل فضل، و الربيع ربيع[1]

و نجد أن خلافة المأمون(198هـ - 218هـ / 813م - 833م) لم تكن نهاية مجد آل الربيع فحسب، وإنما كانت أيضا نهاية فترة زاهرة من تاريخ الحجابة في الدولة العباسية، فلم يصل حجاب المأمون إلى شيء من النفوذ مما كان لآل الربيع من قبل، و لم نجد من بين حجاب المأمون من ركن اليه المأمون طويلا، فقد استحجب عبد الحميد بن عيسى و حميد بن قحطبة، و صالح صاحب المصلى ثم علي بن صالح، ثم اسماعيل بن محمد بن صالح ثم محمد بن عباد [2].

و غالبا ما كان الحاجب يحضر مع المتظلمين في مجلس الخليفة المأمون الذي كان يتحرى العدل و يتولى بنفسه الحكم بين الناس، و في بعض الأحيان كان الحاجب يحضر للخليفة المأمون من يسامره بطلب من الخليفة، فذكر الطبري: « فدعا حاجبه فقال: وينك قد خطرت بقلبي خطرات، فأحضرني شاعرا ظريفا أقطع به بقية ليلتي، فخرج الحاجب فاعتمد أقرب من بحضرته فوجد أبا نواس فقال له : أجب أمير المؤمنين ...» [3].

ولم تبقى وظيفة الحجابة مقتصرة على العرب فقط في زمن العباسيين بل تعدت إلى الأتراك و البويهيين، ففي خلافة المعتصم (218هـ - 127هـ / 833م - 841م) الذي مال

(1) السيد عبد العزيز سالم، **العصر العباسي الأول** ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، (د / ط) ،ج3، 1993م ص261

(2) ابن العمراني ، مصدر سابق ، ص 110

(3) الطبري، مصدر سابق ، ج9 ، ص366

إلى الأتراك و جلب منهم أعداد متزايدة، تزايد نفوذها في شؤون الدولة و كان ذلك سببا في تحول الحجابة إلى الأتراك و توليتهم إياها، فكان حاجبه وصيف[1] و إيتاخ التركيين [2]

ثم تولى إيتاخ الحجابة للواثق (227هـ - 232هـ/ 841م - 847م) آخر خلفاء العصر العباسي الأول، و قد ظل إيتاخ على حجابة الواثق حتى وفاته خصوصا بعد وفاة أشناس التركي

الذي كان الواثق قد ولاه السلطنة، فعلى الرغم من أن إيتاخ لم ينل لقب السلطان كأشناس فإنه هيمن على كثير من الخطط و كان من بينها الحجابة[3].

هكذا كانت أحوال الحجابة و الحجاب في العصر العباسي الأول أو في الحجاب الثاني على حد تسمية ابن خلدون، أما في العصر العباسي الثاني سوف نرى أثر الاتراك جليا في الحجابة بعد أن أوصلوها الي ما اسماه ابن خلدون بالحجاب الثالث .

و ظل الأتراك مسيطرين على مهنة الحجاب حتى خلافة المتوكل (232هـ - 247هـ 847م - 861م) إذ جعل هو الآخر من إيتاخ التركي حاجبا له فضلا عن توليه مهام كثيرة و كان ذلك في سنة 234هـ ثم قلدت هذه المهنة إلى وصيف الخادم [4]، و في سنة 235هـ كان حاجب الخليفة المتوكل سعيد بن صالح و الذي كانت له صلاحيات كثيرة منها قتله لإيتاخ التركي بأمر من الخليفة المتوكل بعد أن تأكد الخليفة من عدم ولاء إيتاخ التركي[5].

([1]) **وصيف التركي:** وهو من الممالك الذين اشتراهم المعتصم بالله، وكان قائد للجيش في عهد الخليفة الواثق، توفي سنة 253هـ/867م (أنظر: ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن بن عبد الله الشافعي، **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق: عمر بن غرامة العموري، دار الفكر، بيروت، 1998م، ج63،ص38

([2]) الأربلي ، مصدر سابق، ص 193

([3]) الجاحظ : **التاج في أخلاق الملوك**، تحقيق: أحمد زكي باشا، الأميرية، القاهرة، ط1،1914،ص29

([4]) الطبري، مصدر سابق، ج8، ص595

([5]) ابن كثير، مصدر سابق ،ج10، ص675

كما قام الحاجب سعيد بن صالح بضرب عبدان بن الموفق 50 سوطا لأنه كان يحرض الناس و يؤلبهم على التمرد ضد الخليفة فيما رواه الطبري[1].

في حين نرى الحاجب أيضا زمن الخليفة المتوكل يشارك في اغتيال الخليفة نفسه بعد اتفاق ابن الخليفة (محمد المنتصر) والحاجب بغا[2] و مجموعة من الأتراك[3].

و نرى الحاجب سعيد بن صالح يشارك في قتل المستعين فذكر القلقشندي « ووجه المستعين إلى واسط بعد خلعه، فبعث بالمعتز إلى أحمد بن طولون بقتله، فامتنع فتسلمه سعيد بن صالح الحاجب حتى مات، و كفن ابن طولون جثته و دفنها و حمل رأسه إلى المعتز فأمر بدفنها » [4].

و كان للحاجب زمن الخليفة المعتمد(256هـ - 279هـ / 870م - 892م) دور كبير في معاركه ضد حركة الزنج في البصرة ففي سنة 257هـ تمكن سعيد الحاجب من هزمهم و استرجع منهم أموالا جزيلة[5].

أما في زمن الخليفة المعتضد (279هـ - 289هـ) فكان للحاجب مهام أخرى، فقد قلد الخليفة حاجبه صالح الأمين النظر في المظالم بعدما كانت من مهام الخليفة[6].

([1]) الطبري ، مصدر سابق، ج9 ، ص168

([2]) **بغا الصغير:** المعروف بالشرابي أحد قواد الخليفة المتوكل تولى الحجابة بعد وصيف التركي (أنظر: ابن العساكر المصدر السابق،ج10،ص327

([3]) الطبري، المصدر السابق ، ج9 ، ص357

([4]) القلقشندي ، **مآثر الأناقة** ، ج1 ، ص240

([5]) ابن كثير، مصدر سابق،ج1 ،ص136

([6]) ابن عماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، القاهرة ، (د / ط)، (د/ت) ، ج1، ص136

و كان الحاجب يصحب الخليفة في بعض متصيداته فذكر ابن كثير عن عجيف السمرقندي الحاجب فقال: « كنت مع مولاي المعتضد في بعض متصيداته و قد انقطع عن العسكر و ليس معه غيري ... » [1].

و قد زاد عدد الحجبة زمن الخليفة المقتدر(295هـ - 320هـ / 908م - 932م) إذ روي أن عددهم يومئذ سبعمائة حاجب[2]، و إن كان هذا العدد مبالغ فيه فروي أيضا أنهم كانوا خمسمائة حاجب و كانوا يختارون من الغلمان، و كانوا خليطا من البيض و السود[3].

وقد شهدت أحداث كثيرة لعب فيها الحجاب دورا هاما، و تعرضوا فيها حتى للقتل ففي سنة 317هـ هرب الحاجب من بغداد بعد خلع الخليفة المقتدر و تولية القاهر محمد بن المعتضد بالله[4] .

ونرى نصر الحاجب القشوري يلتجا إلى زوجة الخليفة المقتدر عندما حاول ابن الفرات ابعاده عن الخليفة فذكر الطبري: « و شرع ابن الفرات في السعاية بنصر القشوري فالتجا إلى السيدة فقالت للمقتدر أن ابن الفرات أبعد عنك مؤنس و هو سيفك و قد حل له ابعاد حاجبك ... » فأعرض عن ابعاده[5].

وأحيانا يتعرض الحاجب للقتل ففي سنه 317هـ بعد أن حاول مؤنس الخادم أمير الأمراء خلع الخليفة المقتدر بمعية سائر الجيش و الأمراء و الجنود فذكر السيوطي: « اخرج

([1]) الطبري، مصدر سابق، ج10 ، ص69
([2]) ابن كثير، المصدر السابق ، ج 11 ، ص88
([3]) مسكويه ابو علي أحمد بن محمد بن يعقوب، **تجارب الأمم**، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، ص379
([4]) الذهبي، مصدر سابق، ج 13 ، ص178
([5]) الطبري، المصدر السابق، ج 9، ص29

المقتدر بعد العشاء ... و أحضر محمد بن المعتضد و بايعه مؤنس و الامراء و لقبوه القاهر بالله ... و لم يكن مؤنس حاضرا فارتفعت الاصوات فقتلوا الحاجب » [1].

وفي سنة 329هـ أنشئ لأول مرة منصب حاجب الحجاب[2] .

و في هذه الفترة أيضا نرى الحاجب و أمير الأمراء يتدخلون في أمور الخليفة فيبعدون هذا و ينحون هذا من منصبه، و هذا ما فعله نصر الحاجب و مؤنس الخادم أمير الأمراء إذ ألحوا على الخليفة المقتدر قتل وزيره علي بن محمد بن فرات، فامتثل لأمرهم و قام بقتله[3] .

و في عهد الخليفة القاهر(320هـ - 322هـ / 932م - 934م) نجد الحاجب يستبد بالنفوذ دون الوزير، و يلزم أصحاب الدواوين بالرجوع إيه في كل أمور الدولة و منهم ياقوت

الحاجب الذي غلب على تدبير الأمور، و نظره في جباية الأموال و خضور أصحاب الدواوين مجلسه، و تفرده بما يعمله الوزراء، و قد كان محمد بن ياقوت حاجبا للخليفة الراضي أيضا[4].

وفي سنة 321هـ نرى الحاجب علي بن بلقين مع مؤنس الخادم و زير الخليفة القاهر و جماعة من الأمراء تشاوروا فيما بينهم على خلع الخليفة القاهر و تولية أبي احمد المكتفي

([1]) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، **تاريخ الخلفاء**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار صادر بيروت،ط1،1952م، ص438

([2]) الصابي ،مصدر سابق ، ص 85 ، **منصب حاجب الحجاب** ، يعني كبير الحجاب ، و أول من عين به بدر الخرشني الذي ولاه الخليفة المتقي عام 326هـ وكان يحظى بمنزلة كبيرة في دار الخلافة، إذ لا يسمح بالجلوس على كرسي إلا لحاجب الحجاب و أمير الجيش (أنظر غازي جاسم الشمري، مرجع سابق، ص113)

([3]) ابن عماد الحنبلي ، مصدر سابق، ج1 ،ص 116

([4]) أحمد عبد الزارق، مرجع سابق، ص66

و بايعوه سرا فافتضح أمرهم لدى الخليفة و قبض على علي بن بلقين الحاجب فذبح بين يدي الخليفة كما قتل مؤنس الخادم[1].

و هذا ما آلت إيه خطة الحجابة في أواخر الدولة العباسية بعد أن تولاها الأتراك الأعاجم بل و أتاحت هذه الوظيفة لمن يشغلها أن يغتصب الحكم أحيانا و يؤسس دولا و أسرات حاكمة، كما فعل سبكتكن مؤسس الدولة الغزنوية[2].

و من خلال ما سبق ذكره عن خطة الحجابة في الدولة العباسية يمكن استخلاص عدة ملاحظات :

- أن الحاجب كان مقربا من الخليفة و لعل هذا كان سبب نفوذه القوي في الدولة
- كما ان هذه الخطة كان قد تولاها افراد من اهل السيف ، ذوي القدر الرفيع و الرتب العالية
- أن هذه الخطة لم تكن مقتصرة على العرب فقط، بل تعدت ذلك إلى الأتراك و البويهيين
- كما أن الحاجب في الدولة العباسية كان على قدر عالي من النفوذ لدرجة أنه شارك في اغتيال الخليفة نفسه، كما شارك في خلع بعض الخلفاء.

(1) ابن كثير، مصدر سابق ،ج11 ، ص139
(2) احمد عبد الرازق ، مرجع سابق ، ص 66

الفصل الثالث : الحجابة في المغرب و الأندلس

المبحث الأول : الحجابة في المغرب

المبحث الثاني : الحجابة في الاندلس

المبحث الأول: الحجابة في المغرب :

لقد عرفت بلاد المغرب نظام الحراسة أو الحجابة، بعد أن استقرت الفتوح و كثر عدد المسلمين و ذلك من خلال نصين أوردهما ابن الحكم أولهما: « أن يزيد بن أبي مسلم أخذ موالي موسى بن نصير من البربر فوشم أيديهم و جعلهم أخماسا و أحصى أموالهم و أولادهم ثم جعلهم حرسه و بطانته ".و ثانيهما :" كان حرس يزيد حين قدم البربر ليس فيهم إلا بترى و كانوا هم حراس الولاة قبله البتر خاصة ليس فيهم من البرانس أحد » [1].

و من خلال هذين النصين يستنتج وجود فئة مهمتها حراسة الوالي و اقتصرت على فريق البتر بنوع خاص و ربما يرجع ذلك إلى قدم العلاقة بين العرب بالبتر خاصة زناتة و إلى دخول قبيلة جراوة في الإسلام بعد هزيمة الكاهنة و قبولها محالفة العرب فاتخذوا من رجالها حاشية و بطانة و مال بعضهم إلى تطوير نظام الحراسة و تمييز رجاله عن بقية الناس ليقع احترامهم و تلبية أوامرهم بكتابة أسمائهم على إياديهم، و كان ولاة الفتح في إفريقية يأتون و معهم جنودهم و حراسهم، فإذا تمت مهمتهم رجعوا معظمهم إلى الفسطاط أو دمشق، أما بعد أن استقرت الولاية فقد أصبح هذا النظام تقليدا إداريا يرتبط بالولاية و لا يتأثر بعزل الوالي [2].

و لقد ربط ابن خلدون هذه الخطة في بلاد المغرب بمدى بداوة الدويلات التي قامت به فيقول: « ثم جاءت دولة الشيعة بإفريقية و القيروان و كان للقائمين بها رسوخ في البداوة فأغفلوا أمر هذه الخطط حتى أدركت دولتهم الحضارة فصاروا إلى تقليد الدولتين قبلهم.... » و قال: « و لما جاءت دولة الموحدين لم تستمكن فيها الحضارة الداعية إلى

([1]) ابن الحكم، **فتوح مصر و المغرب**، تحقيق: عبد المنعم عامر ، قصور الثقافة ، القاهرة ، (د / ط)، (د / ت)،ص288

([2]) موسى لقبال ، **المغرب الاسلامي** منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج سياسة و نظم ،الشركة الوطنية للنشر، الجزائر ، (د / ط) ، 1981، ص144

انتحال الألقاب و تمييز الخطط و تحيينها بالأسماء إلى آخر فلم يكن عندهم من الرتب إلا الوزير...ولم يكن اسم الحاجب معروفا في دولتهم يومئذ » [1].

أما بالنسبة لوظيفة الحجابة في الدولة المرابطية، فليس هناك ما يدل على هذه الوظيفة سوى إشارة بسيطة أوردها ابن الخطيب عند ترجمته لتاشفين بن علي بن يوسف بقوله : « عكف تاشفين بن علي بن يوسف على زيارة قبر أبي وهب الزاهد بقرطبة وصاحب أهل الإدارة و كان وطئ الأكتاف سهل الحاجب، يجالس الأعيان ويذاكرهم » [2].

وربما يرجع السبب في ذلك إلى أن الدولة المرابطية تميزت بالبساطة مع تمكن البداوة منها مما جعلها لا تتخذ مظاهر الأبهة و الملك التي تستلزم وجود حاجب بين الحاكم و الرعية .

و يرى ابن خلدون أن استعمال هذه الخطة لم يتم في الدولة الموحدية الأولى فيقول: « ولما جاءت دولة الموحدين لم تستمكن فيها الحضارة الداعية إلى انتحال الألقاب و تمييز الخطط فلم يكن عندهم من الرتب إلا الوزير... و لم يكن اسم الحاجب معروفا في دولتهم يومئذ » [3].

و لما انتقل الأمر إلى بني حفص أسندوها إلى قهرمان الخادم الخامس للسلطان. فخصوه باسم الحاجب، و ربما أضافوا إليه كتابة العلامة على السجلات، و استمر على ذلك الأمر و حجب السلطان، فصار هذا الحاجب واسطة بين الناس و بين أهل الرتب كلهم ، ثم جمع له آخر الدولة السيف و الحرب ثم الراي و المشورة، فصارت الخطة أرفع الرتب [4].

([1]) ابن خلدون ، مصدر سابق، ج2 ، ص641

([2]) ابن الخطيب ، **الإحاطة في أخبار غرناطة** ،تحقيق: عبد الله عنان، دار المعارف، القاهرة، (د/ط)،1955م، م1 ص457

([3]) ابن خلدون، المصدر السابق ، ج2 ، ص641

([4]) بوزياني الدراجي، **نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية**، ديوان المطبوعات، الجزائر، (د/ط)، 1993 ص129

و في هذا دليل على أن خطة الحجابة اتسعت مهامها، و أصبحت مع مرور الوقت أسمى مرتبة في الدولة الحفصية، إذ اختص صاحبها بشؤون السيف و القلم، غير أنه بمجيء السلطان ابي العباس ، قضى على هذه الخطة و أزالها من نظام الدولة فيقول ابن خلدون:

« ... ثم جاء الاستبداد و الحجر مدة بعد السلطان الثاني عش، ثم استبد بعد ذلك حفيده السلطان أبو العباس على نفسه و أذهب آثار الحجر و الاستبداد بإذهاب خطة الحجابة التي كانت سلما إليه، و باشر أموره كلها بنفسه من غير استعانة بأحد، و الأمر على ذلك لهذا العهد » ، و في دولة بني مرين يعتقد ابن خلدون بأنهم لو يستعملوا هذه الخطة تماما كما أنهم لم يتخذوا تسمية الحاجب في بلاطهم، بل استعاضوا عنها بخطة (المزوار) التي يهتم صاحبها كذلك بحفظ باب السلطان و السهر على حراسته فيقول: « و أما دولة زناتة بالمغرب و أعظمها دولة بني مرين فلا أثر لاسم الحاجب عندهم... و أما باب السلطان و حجبه عن العامة، فهي رتبة عندهم يسمى صاحبها بالمزوار» [1].

و قد وصف خطة المزوار كأنها وزارة صغرى .

غير أن النصوص التي وردت في كتاب ابن الأحمر روضة النسرين تثبت بأن هذه التسمية و بالتالي خطة الحاجب كانت مستعملة في دولة بني مرين، فالعديد من سلاطين بني مرين قد اتخذوا حجابا لهم، و استعمل بن الأحمر تسمية الحاجب في تعيين أولئك المستخدمين .

فذكر أن الأمير يعقوب بن عبد الحق كان حاجبه عتيق مولاه الخصي، و الأمير يوسف بن يعقوب بن عبد الحق كان حاجبه عبد الله بن أبي مدين و اليهودي خليفة بن حيون بن رقاصة و عنبر الخصي، و الأمير عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق كان حاجبه عبد الحق الزرهوني و مولاه فرج الخصي و عبد الله بن أبي مدين، و الأمير سلمان بن عبد

(1) ابن خلدون ،مصدر سابق، ج2، ص642

الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق كان حاجبه عبد الله بن أبي مدين و اليهودي خليفة ابراهيم بن حيون بن رقاصة، و الأمير عثمان بن يعقوب بن عبد الحق حاجبه أبو المكارم

منديل بن محمد الكناني، و الأمير علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق كان حاجبه عبد الواحد بن ناصح، و الأمير المتوكل على الله فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب كان حاجبه محمد بن محمد بن أبي عمرو التميمي و عمر بن ميمون بن محمد و عمر بن عبد الله بن علي اليباني[1].

أما في دولة بني عبد الواد كانت هذه الخطة (الحجابة) في هذه الدولة تنحصر مهامها في الأمور التي تخص السلطان و داره، و فقد يسند إليه الحسابات و السجلات المالية و يعتقد ابن خلدون أن بني عبد الواد كانوا يقلدون في ذلك بني أبي حفص لأنهم كما يعتقد كانوا من أتباعهم، لكن الفترة الزمنية التي ظلت عهد يغمراسن بن زيان، وولده عثمان، و حفيده أبي زيان و أبي حمو الأول، يمكن أن ندرك من خلالها الأهمية التي أعطيت لمرتبة الحاجب منذ اليوم الأول لقيام دولة بني عبد الواد ، لقد أعطى مؤسس هذه الدولة أهمية كبيرة لهذا الخطة، حيث أسندها إلى شخصية ربما كانت أكثر أهمية من شخصية الوزراء أنفسهم و كذا الحال بالنسبة لخلفاء يغمراسن فإنهم اختاروا لهذه الخطة شخصيات ذات مكانة علمية و فقهية تستحق التقدير و الأعجاب[2] .

و من خلال ما توفر من نصوص خاصة عن ابن خلدون في كتابه العبر وأخوه يحي بن خلدون في كتابه بغية الرواد يمكن استبعاد فكرة أن سلاطين بني عبد الواد قد اقتبسوا هذه الخطة من الحفصيين، فحسب تلك النصوص تكون الدولة العبد الوادية قد اتخذت هذه الخطة منذ بداية الدولة في صورتها المثالية القريبة من الشكل الذي كانت عليه في الأندلس بينما لم يكن هذا متوفرا في الدولة الحفصية، فللحاجب في عهد يغمراسن أهمية تفوق مرتبة

([1]) إسماعيل بن الأحمر، **روضة النسرين في دولة بني مرين** ، المطبعة الملكية ، الرباط ،(د / ط) ، 1962، ص 13 - 26

([2]) بوزياني الدراجي ، مرجع سابق ، ص 130

الوزير . و يقول يحي ابن خلدون عند ذكر حاجب يغمراسن « و حاجبه الأقرب و مساوره الأنصح الفقيه عبدون بن محمد الحياك من فقهاء الخضرة » .[1]

و كان عبد الرحمن بن خلدون في كتابه العبر يعتبر هذا الحاجب بمثابة وزير إذ قال : « ووفد على سعيد الفقيه عبدون وزير يغمراسن » [2]

و في الحقيقة كان ابن خلدون يخلط أحيانا بين الوزير و الحاجب فمثلا كان يقول في كتابه العبر عن موسى بن علي الكردي بأنه وزير، و في نفس المصدر يجعله في موضع آخر حاجبا، و قد يجمع إليه الوزارة و الحجابة معا[3].

وكذلك الفقيه عبدون بن محمد الحباك، قال عنه يحي بن خلدون أنه حاجب السلطان [4] بينما يعتقد ابن خلدون في كتابه العبر أنه وزير[5].

ويمكن تلخيص مهمة الحاجب في دولة عبد الواد بأنه كان يتصدى لجميع المشاغل و الهموم التي قد تعترض السلطان، كالاتصال بالرعية، و مقابلة الناس، وتقديم الذين يريدون مقابلته و كانت تسند للحاجب المهمات الكبرى في الشّدة و الضيق، كما تسند للحاجب مهمة السفارات و المفاوضات أحيانا مع حكام الدول الأخرى و يتجلى ذلك من خلال المهمة التي كلف بها يغمراسن حاجبه، عندما زحف إليه السلطان الموحدي سعيد بقواته، فكلف الحاجب عبدون بمفاوضة السلطان نيابة عنه، و ربما يلجأ السلطان إلى

(1) ابن خلدون،يحي أبي زكريا، **بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد**، مطبعة فونطانا، الجزائر، ط، 1903، م1 ص 111

(2) ابن خلدون، **العبر و ديوان المبتدأ و الخبر**، دار الكتاب اللبناني، بيروت،(د/ ط)، 1999، م7 ، ص 169

(3) ابن خلدون، **العبر**، م7 ، ص229، 230 ، 233

(4) يحي ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص11

(5) ابن خلدون، **العبر**، م7 ،ص169

و بالرغم من أهمية هذه الخطة و أهمية مكانة من يتولها إلا أنها انتهت بسقوط دولة أبي تاشفين، لكنها برزت في عهد أبي حمو الثاني ضمن ثوب جديد كما اتخذت اسما غير الأول مع اختلاف المهمات بعض الشيء، وهذه الخطة حملت اسم **المزوار** ويبدو أن مهمة المزوار كانت امتدادا لمهمة الحاجب، إذ احتفظ المزوار بمهمات الحاجب الصغرى ، بينما احتوى الوزير على المهمات الكبرى، و نظرا لأهمية هذه الخطة على غرار الحجابة نجد السلطان أبي حمو موسى الثاني ينصح ولده في أحد فصول كتابة واسطة السلوك فيقول له: « أن يكون أول الداخلي عليك مزوارك الموصوف، و عونك المعروف، ليعرفك بمن ببابك »[1].

و في فصل آخر من كتابه يوصي ولي عهده بأن يختار عونا مزوارا، يقدمه على بقية الأعوان ويترك له أمر التصرف في شؤونه و شؤون قصره، و يحفظ أمنه و أمن قصره[2].

وهذا دليل على مدى أهمية هذه الخطة و من يتولاها على غرار الحجابة

(1) الزياني أبو حمو موسى ، **واسطة السلوك في سياسة الملوك**، مطبعة الدولة التونسية، 1279، ص62

(2) نفسه ، ص111

2- الحجابة في الاندلس :

لم تعرف الأندلس تنظيما إداريا واضحا المعالم إلا بعد وصول الأمير عبد الرحمن الداخل الى سدة الحكم هناك، و إقامته الدولة الأموية فيها (138هـ - 172هـ/ 756 م - 788م) فقد وضع الركائز الأساسية للنظام السياسي و الإداري، عندما أنشا عدة مناصب سياسية منها خطة الحجابة، فبعد أن أعلن عن قيام إمارته، اتخذ عدد من المشاورين والأعوان اختصهم بمجالسته، و اختار من بينهم شخصا لقبه بالحاجب[1].

و قد كانت الحجابة في الأندلس مختلفة عما كانت عليه لدى العباسيين ببغداد، فيوضح لنا ابن خلدون الفرق بيت منصب الحاجب لدى الأمويين بالأندلس عنه لدى العباسيين ببغداد فيقول : « هذا للقب كان مخصوصا بمن يحجب السلطان عن العامة و بغلق بابه دونهم أو يفتحه لهم على قدره في مواقيته ... و أما في الاندلس فكانت الحجابة لمن السلطان عن الخاصة و العامة و يكون واسطة بينه و بين الوزراء، فمن دونهم ... » [2] .

فالحاجب في أول الأمر كان في الدولة الأموية بالأندلس يقوم بالواسطة بين الخليفة و وزرائه ثم اخذت سلطة الحاجب في الاتساع حتى اصبح ارفع الوزراء شأنا و صار يسمى بذي الوزارتين و صار يشرف على الشؤون المدنية و العسكرية[3] .

([1]) سالم عبد الله الخلف، **نظم حكم الامويين و رسومهم في الأندلس**، مكتبة الأمير فهد، المدينة المنورة ، ط1 ، 2003م ج1 ، ص411

([2]) ابن خلدون، **المقدمة**، ج2 ، ص 640

([3]) احمد عبد الرازق، مرجع سابق، ص66

و طيلة عهد الخلافة و الإمارة الأموية بالأندلس تولى منصب الحجابة عدة شخصيات، من أشهرهم :

عبد الكريم عبد الواحد بن المغيث ت 209هـ /824م: الذي تولى الحجابة معظم إمارة حكم بن هشام و ثلاث سنوات من إمارة ابنه عبد الرحمن الأوسط [1].

قال عنه ابن القوطية : « لم يختلف مختلف من شيوخ الأندلس انه لم يخدم بني أمية بالأندلس أكرم منه عناية و أكثر طاعة ... إلا انه كان يقبل الهدية و المكافاة على قضاء الحاجة» [2]، وقد كان يجمع خصالا لم تكن تتوفر لكثيرين من رجال الدولة في عصره، فقد كان عسكريا ممتازا ، و سياسيا محنكا، و كاتبا أديبا عالما[3].

كما برز اسم الحاجب عيسى بن شهيد ت 243هـ /857م : الذي تولى الحجابة لعبد الرحمن الأوسط و ابنه الأمير محمد، و قد تولى الحجابة بعد سفيان بن عبد ربه و ذلك سنة 218 هـ / 822م [4].

فآثره الأمير عبد الرحمن الأوسط على أصحابه و كان أهلا لإيثاره، إذ كان من أعيان رجال الموالي في الدولة، و من أشهرهم بالحلم و الوقار، و الحصافة و العلم و المعرفة و الحزم و الجزالة، و كانت له في التدبير أراء صائبة، و في الحروب مقاومة كريمة[5].

و فضل عن نضيره عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث بأنه لم يكن يقبل الهدية أو المكافاة على قضاء الحاجة، بل كان يهجر من عرضها عليه .

([1]) ابن عذارى المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب**، تحقيق و مراجعة: ج.س.كولان، دار الثقافة لبنان، (د/ط)، (د/ت)، ج2 ص121

([2]) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، دار بسكوال، مدريد، (د/ط)، 1868م ،ص74

([3]) ابن حيان القرطبي، **المقتبس في أخبار المغرب و الاندلس**، تحقيق: محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت د/ط، 1973م، ص82

([4])ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج2، ص84

([5])ابن حيان ، المصدر السابق، ص26

و ما يلاحظ على الحجابة في الأندلس أنها كانت اشبه بالتدرج الوظيفي، فالحاجب لابد له من المرور بعدة مناصب، فإذا ظهرت كفاءته فيها رقي الى منصب الحجابة .

فالحاجب سفيان بن عبد ربه : « كان من أكابر رجال أهل الخدمة و الكفاءة المستقلين بأعبائها،...تولى خدمة الخزانة الكبرى أيام الأمير الحكم ... و لم يزل ينتقل في مراتب الخدمة إلى أن نال الحجابة... » [1].

و هذا التدرج الذي مر به الحاجب سفيان بن عبد ربه سلكه خلفه الحاجب عيسى بن شهيد فقد ولاه عبد الرحمن الأوسط خطة الخيل ثم استوزره، و ولاه النظر في المظالم، و تنفيذ الأحكام على طبقات أهل المملكة، ثم استحجبه، وورد في المقتبس أيضا أن سعيد بن محمد بن السليم كان من صناع الامير عبد الله بن محمد قبل أن يصبح أميرا، فلما تولى الإمارة ولي لن سليم خطة السوق، فظهرت منه صرامة و قوة، و تمكن من ضبط أمور العامة فأدرك الأمير مدى كفاءته فأولاه الوزارة ثم الحجابة[2].

و موسى بن محمد بن سعيد الذي تدرج في عدة مناصب حتى وصل إلى الحجابة فقد تولى للأمير عبد الله بن محمد خطة المدينة، ثم تولى الوزارة في أول عهد عبد الرحمن الناصر(300هـ - 350هـ / 912م - 961م) وظل بها إلى أن توفي الحاجب بدر بن أحمد سنة 309هـ / 921م فاستحجبه الناصر، و ظل في هذا المنصب إلى وفاته سنه 320هـ / 932م و لقد كانت لهذا الحاجب شخصية نفاذة تستقطب الأنظار حولها، حتى أن الوزير عبد الملك بن جهور قال عنه : « ما رأيت مثل موسى لو يجمعه أمير المؤمنين مع أحد إلا كان المستحوذ على المجلس في الجد و الهزل » [3] .

([1]) ابن حيان ، مصدر سابق ، ص 30

([2]) نفسه ،ص26

([3]) ابن الآبار، **الحلة السيراء** ،تحقيق: حسين مؤنس، الشركة العربية، القاهرة، (د / ط)، 1963م،ج1،ص 202 ،203

خاتمة

من خلال ما سبق ذكره عن موضوع الحجابة في الإسلام يمكن استخلاص النتائج التالية :

ـ أن الحجابة حظيت بمكانة عالية و مرموقة في بلاط الدولة الإسلامية، حتى أصبح هذا المنصب مبلغ تنافس بين الحُجّاب

ـ كما أن ظهور هذا منصب في الدولة الإسلامية كان ضرورة اقتضتها مصلحة الدولة خاصة بعد محاولة إغتيال معاوية على يد الخوارج .

ـ ويمكن ملاحظة أن مهام الحُجاب و عملهم لم يقتصر على الاستئذان للخليفة فقط، بل شمل مهام أخري كثيرة .

ـ ومع تطور الدولة نرى أن بعض الخلفاء أسرفوا في منع الناس من مقابلتهم، خاصة بعد أن ازداد عدد الحجاب على أبوابهم .

ـ كما أن الحاجب زمن العباسيين كان مقربا لدى الخليفة، فقوي نفوذه و أصبح مستشار الخليفة في جميع الشؤون المهمة، حتى استطاع الأقوياء من الحجاب أن يضعفوا من قوة الوزراء

ـ أما بالنسبة الحجابة في المغرب فقد إختلفت عما كانت عليه في المشرق، إذ كان قد تولاها بعض الفقهاء و الوزراء .

ـ وفي الأندلس كانت أشبه بالتدرج الوظيفي، فكان من يتولاه يجب أن يمر بعدة خطط، وهذا دليل على سمو هذا المنصب .

1- المصادر :

القرآن الكريم

2 - ابن أبي الربيع، شهاب الدين أحمد، **سلوك المالك في تدبير الممالك**، تحقيق : أحمد عبد الغني، دار كنان ، دمشق، (د/ط)، 1996م .

3 - ابن الآبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر، **الحلة السيراء** ، تحقيق : حسين مؤنس الشركة العربية ، القاهرة، (د/ط) ، 1963م

4 - ابن الأثير، محمد بن محمد الشيباني(ت/630هـ/1232م)، **الكامل في التاريخ** راجعه و صححه: محمد يوسف ، الأفاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 1987م

5 - ابن الأزرق، محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي شمس الدين الغرناطي (ت/ 896هـ)، **بدائع السلك في طبائع الملك**، تحقيق: علي سامي النشار، وزارة الإعلام العراق ط1،(د/ت).

6 - ابن الجوزي، أبي الفرج عبد الرحمن (ت/ 597هـ) **مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب**، دار ابن خلدون، الإسكندرية ، (د/ط) ،(د/ت).

7 - ابن الجوزي، **المصباح المضيء في خلافة المستضيء**، تحقيق: ناجية عبد الله ابراهيم شركة المطبوعات، بيروت، ط1 2000م.

8 - ابن الجوزي، **المنتظم في تاريخ الملوك**، دراسة و تحقيق: محمد عبد القادر دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،1992م .

9 - ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق: عبد الله عنان، دار المعارف، القاهرة د/ط، 1955م .

10 - ابن الخطيب، لسان الدين ، **أعمال الأعلام في من بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق : أ.ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ، (د/ط)، 2004م .

11 - ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد(ت/ 580هـ)، **الأنباء في تاريخ الخلفاء** تحقيق و تقديم : قاسم السمرائي، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط1 1999م.

24 - ابن عساكر، أبو القاسم علي الحسن بن عبد الله الشافعي(ت/ 571ھ)، **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق عمر بن غرامة العموري، دار الفكر، بيروت، 1998م .

25 - ابن عماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، دار ابن كثير، القاهرة (د/ط)،(د/ت) .

26 - ابن فارس، أبي الحسن أحمد بن زكريا(ت/ 395ھ)، **معجم مقاييس اللغة** تحقيق و ضبط : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، القاهرة ، 1979م.

27 - ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء اسماعيل(ت 774ھ/1371م)، **البداية و النهاية** تحقيق: عبد المحسن التركي، دار الهجر، مصر، ط1، 1898م .

28 - ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين بن مكرم، **لسان العرب**، المطبعة الكبرى مصر ، ط1، 1300ھ .

29 - الأربلي عبد الرحمن سنبط ، **خلاصة الذهب المسبوك مختصر سير الملوك** مطبعة القديس جارجيوس، (د/ط)، 1885م.

30 - بن الأحمر، إسماعيل، **روضة النسرين في دولة بني مرين**، مطبعة القصر الملكي الرباط ، (د/ط) ، 1962م.

31 - البيهقي، إبراهيم بن محمد، **المحاسن و المساوئ**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف، القاهرة، (د/ط) ، 1991م .

32 - الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر(ت/ 255ھ)، **رسائل الجاحظ** ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، (د/ط) ، (د/ت) .

33 - الجاحظ، **التاج في أخلاق الملوك**، تحقيق: أحمد زكي باشا، مطبعة الأميرية القاهرة،ط1،1914م

34 - الجهشياري، أبي عبد الله محمد بن العبدوس(ت/ 331ھ)،**الوزراء و الكتاب** تحقيق: مصطفى السقا و آخرون، القاهرة، ط1، 1938م .

35 - الخضرمي، أبي بكر محمد بن الحسن المرادي(ت/ 489هـ)، **كتاب السياسة أو الاشارة إلى تدبير الإمارة** ، تحقيق : محمد حسن إسماعيل و أحمد فريد ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م .

36 - الدينوري ابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة(ت/ 276هـ)، **عيون الأخبار** دار الكتب المصرية ، القاهرة ، (د/ط)، 1996م .

37 - الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت 748هـ/1374م)،**سير أعلام النبلاء**، تحقيق: علي أبو زيد، مؤسسة الرسالة، سوريا، ط2، 1982م .

38 - الزياني أبو حمو موسى، **واسطة السلوك في سياسة الملوك**، طبع بمطبعة الدولة التونسية حاضرتها المحمدية، 1279م .

39 - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، **تاريخ الخلفاء**، تحقيق: محمد مكي، دار صادر بيروت، ط1،1952م

40 - الشوكاني، محمد بن علي بن محمد(ت/ 1250هـ) ، **نيل الأوطار شرح منتقى الاخبار**، تقديم : رائد بن صبري أبي علفة ، بيت الأفكار الدولية، لبنان (د/ط) 2004م .

41 - الصابي، أبي الحسين هلال بن المحسن(ت/ 448هـ)، **رسوم دار الخلافة** تحقيق و تعليق : ميخائيل عوّاد، دار الرائد العربي، بيروت ، ط2، 1986م

42 - الطبري أبو جعفر بن جرير، **تاريخ الرسل و الملوك**، تحقيق: محمد أبو الفضل مصر، ط2، 1971م .

43 - الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط** مطبعة الأميرية القاهرة،(د/ط)، (د/ت) .

44 - القرطبي أبي عمر يوسف بن عبد الله النمري(ت/ 463هـ) ، **بهجة المجالس و أنس المجالس** ، تحقيق : محمد موسى الخولي، دار الكتب العلمية ، بيروت ط2 (د/ت) .

45 - القلقشندي ، **مآثر الأناقة في معالم الخلافة** ، تحقيق : عبد الستار أحمد الفراج عالم الكتب ، بيروت ، ط1 ، 1964م.

46 ـ القلقشندي، أبي العباس أحمد، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، مطبعة الأميرية القاهرة (د/ط) 1915م

47 ـ الماوردي، أبي الحسن، **نصيحة الملوك**، دراسة و تحقيق : فؤاد عبد المنعم أحمد مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د/ ط)، (د/ ت) .

48 ـ الماوردي، **التحفة الملوكية**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط1 1993

49 ـ المسعودي، ابي الحسن بن علي، **مروج الذهب و معادن الجوهر**، مراجعة : كمال حسين مرعي، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط1 ، 2006م.

50 ـ المسعودي، **التنبيه و الإشراف**، دار صادر بيروت، (د/ط)،1985م

51 ـ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت/ 733هـ)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق : علي بوملحم، دار الكتب العلمية ، لبنان، ط1 ، 2003م .

2- المراجع :

1- إبراهيم أيوب، التاريخ العباسي السياسي و الحضاري، الشركة العالمية للكتاب لبنان،ط1،1989م

2 ـ إبراهيم سلمان الكروي ، **المرجع في الحضارة العربية الاسلامية** ، مركز الاسكندرية مصر ،(د/ط)، 2007م .

3 ـ أحمد عبد الرازق ، **الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى** ، دار الفكر الغربي القاهرة ، (ط3) ، 1999م .

4 ـ أنور الرفاعي، الاسلام في حضارته و نظمه، دار الفكر، دمشق ، (ط3) 1997م .

5 ـ بوزياني الدراجي ، **نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية** ، ديوان المطبوعات الجزائر ، (د/ط) ، 1993م

6 ـ حسن ابراهيم حسن ، **تاريخ الاسلام السياسي و الديني و الثقافي و الإجتماعي** دار جبيل ، لبنان ،(ط14) ،1996م

7 ـ رحيم كاظم الهاشمي و عواطف محمد العربي شنقارو ، **الحضارة العربية الإسلامية دراسة في تاريخ النظم** ، الدار المصرية ، القاهرة ، (د/ط) ، 2002م

8 ـ سالم عبد الله الخلف ، **نظام حكم الامويين و رسومهم في الأندلس** ، مكتبة الملك فهد المدينة المنورة ، (ط1)، 2003م .

9 ـ السيد عبد العزيز سالم ، **العصر العباسي الأول** ، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية (د/ط)، 1993م .

10 ـ السيد عبد العزيز سالم و سحر السيد عبد العزيز سالم ، **محاضرات في تاريخ الحضارة الاسلامية** ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ،(د/ط) 2003م

11 ـ ظافر القاسمي ، **نظام الحكم في الشريعة و التاريخ الاسلامي** ، دار النفائس بيروت ط3 ، 1987م .

12 ـ عبد الرحمن الضحيان ، **النظم الإسلامية و حاجة البشرية إليها** ، دار المآثر المدينة المنورة ، ط1 ، 2002م .

13 ـ عصام الدين عبد الرؤوف ، **معالم تاريخ و حضارة الإسلام** ، دار الفكر الغربي القاهرة ، د/ط ، 1998م .

14 ـ غازي جاسم مهدي الشمري ، **دراسات في النظم الاسلامية** ، مكتبة الرشاد الجزائر ط1 ، 2002م .

15 ـ فتيحة النبراوي ، **تاريخ النظم و الحضارة الاسلامية** ، دار الفكر الغربي ، القاهرة (د/ط) ، 2005م .

16 ـ موسى لقبال ، **المغرب الاسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج** الشركة الوطنية ، الجزائر ، ط2 ، 1981م .

17 ـ محمد عبد الله عنان ، **الدولة الإسلامية في الأندلس**، مكتبة خانجي ، القاهرة ، ط4 1969م .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

إهداء .....

شكر و عرفان .....

قائمة المختصرات.....

مقدمة .....أ - د

الفصل الأول: معني الحجابة، نشأتها، وحكمها.....6 - 16

1 ـ معنى الحجابة .....6 - 7

2 ـ نشأت الحجابة ..... 8 - 11

3 ـ حكم الحجابة في الإسلام ..... 12 - 16

الفصل الثاني: تطور الحجابة في العصر الأموي و العباسي .....18 - 42

1 ـ الحجابة زمن الأمويين ..... 18 - 25

2 ـ الحجابة زمن العباسيين .....26 - 38

الفصل الثالث: الحجابة في المغرب و الأندلس.....40 - 55

1 ـ الحجابة في المغرب.....40 - 46

2 ـ الحجابة في الأندلس.....47 - 55

الخاتمة.....57

البيبليوغرافيا.....59 - 65

فهرس الموضوعات 67